الفصل الأول

ماضى الإسلام وحاضره في نيجيريا

• الكتابة عن حاضر الإسلام ومستقبله :

الكتابة عن ماضى الإسلام وحاضره تاريخ.

أما الكتابة عن مستقبله فهو تخمين ورجم بالغيب، وقد نهى الإسلام عنه لأن الغيب لله ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ ﴾. [الأنعام : ٥٩]

فبما أن أحب شيء إلى الإنسان ما منع، ظل الناس يرجمون بالغيب قديماً وحديثاً ويزعمون أن هناك فرقا بين الغيب المطلق الذى استأثر الله به ولا يظهر عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول.

وبين غيب الشهادة الذى يدرك بالأمارات والمقدمات والتجارب ومن هذا القبيل وجدنا من كتب عن حاضر الإسلام ومستقبله، ولم ينكر عليهم أحد من العلماء أنهم أساءوا الصنيعة.

وأول من خاض هذا الغمار فيما أعلم هم الكتاب الغربيون وفى مقدمتهم الكاتب الأمريكى لوثر وب ستودارد بعنوان: «حاضر العالم الإسلامى» الذى علق عليه العلامة شكيب أرسلان.

ثم الكاتب الإنجليزى البروفيسور جيب تحت عنوان: «الاتجاهات الحديثة فى الإسلام» وقد تناوله عدة كتّاب العرب بالنقد والتعليق.

ثم كاتب آخر وهو الأستاذ باول شمتز فى كتابه الذى ترجمه الدكتور شامة بعنوان: «الإسلام قوة الغد العالمية».

وقد استفاض الكتّاب العرب فى الموضوع بشتى العناوين وفى مقدمتهم أمير البيان شكيب أرسلان فى رسالته الغراء: «لماذا تأخر المسلمون ؟! ولماذا تقدم غيرهم ؟!» ثم تبعه فى ذلك عشرات وعشرات من الكتاب منهم السيد أبو الحسن الندوى فى كتابه: «ماذا خسر العالم» والأستاذ بهجة الأثرى فى محاضرته: «الاتجاهات الحديثة فى الإسلام» وللأستاذ محمد قطب والشيخ محمد الغزالى وأمثالهم أقلام سيالة صالت حول حاضر الإسلام وغده والمسلمين فى جميع كتاباتهم. فاقتداء بهؤلاء القوم أكتب اليوم عن حاضر الإسلام ومستقبله فى نيجيريا.

* * *

• الفرق بين الأمة الإسلامية والجماعات الإسلامية :

من الحقائق التى قررها الغربيون ونقلها منهم المسلمون مما يبشر بمستقبل باهر للإسلام ما قاله الأستاذ بهجة الأثرى فى محاضرته :

«يعترف رجال الدراسات الإسلامية من الأوربيين بأنه لا توجد مدنية أخرى سجل لها التاريخ من النجاح فى أن تجمع كثيرا من أجناس الإنسان المختلفة مع التسوية بينهم فى المكانة والعمل وتهيئة الفرص كما سجل للإسلام، ويلاحظون أن الجماعات الإسلامية العظيمة فى إفريقية والهند وإندونيسيا، والجماعات الصغيرة فى الصين والجماعات الصغرى فى اليابان

كلها تبين أن الإسلام لا تزال له القوة على أن يؤلف العناصر التى لا سبيل إلى التوفيق بينها بسبب الجنس والتقاليد»[1].

قلت: يقصد الأستاذ الأثرى بالجماعات الإسلامية الأجناس التى ليست عربية الأصل، وقد اصطلح الاجتماعيون حديثاً على أن يطلقوا «الأمة» على من كانوا تحت دولة واحدة ونظام واحد ولغة واحدة.

وأن يطلقوا الجماعة على من تشتتوا فى مختلف الدول واللغات والأنظمة، لذلك يفرق الكتاب المحدثون بين الأمة الإسلامية والجماعة الإسلامية.

وإذا ما علمنا أن المسلمين فى نيجيريا يشكلون الأغلبية الساحقة حيث ينيفون على سبعين مليونا من مجموع المائة مليون من السكان، ومع ذلك ليسوا تحت حكومة إسلامية ولا يطبقون الحكم الإسلامى، ولا أن ينص دستورهم بأن الإسلام دين الدولة، وإنما ينص الدستور بأن الدولة علمانية لأن النصارى يخافون أن يكتسحهم الإسلام ويصهرهم فى بوتقته، فلا توجد فى نيجيريا وزارة الشئون الدينية ولا وزارة الأوقاف التى تعنى بالمساجد فلا يمكن والحالة هذه أن يطلق عليهم أمة إسلامية بل جماعة إسلامية، وكذلك الأمر فيما شاكل نيجيريا من البلاد.

يجب على كل فرد وكل جماعة أن يبذل طاقاته لتكوين الأمة الإسلامية تحت راية واحدة كما أراد الله.

---

(١) الاتجاهات الحديثة فى الإسلام.

وإذا ما علمنا أن الأمة العربية بأسرها من مسلمين ونصارى تتقارب فى العدد مع الأمة النيجيرية فلا جرم إذا أعرناها عنايتنا ودرسنا حاضرها ومستقبلها لنتحدى بهذه الدراسة عوادى الدهر وعوارض الزمن، وقدمنا لأنفسنا وللأجيال القادمة ما يسيرون على ضوئه، فبناء على ذلك نبحث قبل كل شيء عن :

• مكانة نيجيريا فى الصعيد الدولى :

تشغل نيجيريا حيزا كبيرا فى أفكار العالم جميعا لمكانتها الاقتصادية والسياسية فى أفريقيا عموما وفى غربها خصوصا.

لهذا ظلت مهوى الأفئدة ومحط الأنظار منذ النصف الأخير من القرن العشرين على أعقاب الحرب العالمية الثانية، لأنها هى الدولة الوحيدة التى تستطيع أن تلحق بركب الدول الراقية فى أقرب وقت ممكن، لما لها من تاريخ مجيد فى الماضى، ويقظة واعية فى الحاضر، وأمل مشرق فى المستقبل.

وقد أعطاها الله من ثروات معدنية ونباتية وحيوانية وإنسانية ما يعقد لها لواء الزعامة والقيادة بين أقطار القارة الخضراء المسماة إفريقية.

وهى دولة بترولية تحتل الدرجة الرابعة من دول «الأوبيك».

وهى دولة زراعية، أرضها خصبة، وسماؤها مطيرة مطرا غزيراً.

وهى دولة صناعية، تتقدم فيها التكنولوجيا الحديثة يوماً بعد يوم.

ويتمسك أهلها بالدين لأنها تتصارع فيها الأديان الثلاثة: الوثنية والنصرانية والإسلام، رغم تغلغل الإلحاد فى أوساط المثقفين الذين تعلموا فى أوروبا وأمريكا فإن روح التدين لا تزال بها قوية.

ونحن إذ ندعو إلى الإسلام ونفضله على سائر الأديان، إنما نستند فى ذلك إلى دلائل واضحة وحجج قاطعة تبرر مذهبنا، وتحبذ وجهتنا لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ونقول:

• لماذا ندعو إلى الإسلام ؟

ندعو مسلمى نيجيريا وغرب أفريقيا إلى التمسك بالإسلام، وندعو غير المسلمين إلى الإسلام، لأننا نحب غيرنا كما نحب أنفسنا، حيث قد لمسنا محاسن الإسلام ومزاياه فى العبادات وفى العادات والمعاملات، ولم نستأثر بها وطلبنا أن تعم هذه المحاسن غيرنا، وقد استفادت غرب أفريقيا من هذه المحاسن الشيء الكثير فى القرون الوسطى، حيث إن الإسلام هو الذى قدم لبنى الأسود ثقافة راقية بقى أثرها حتى جاء الاستعمار الغربى، فأدرك اللغة العربية لغة العلم والأدب والتاريخ لغرب أفريقيا.

وإن الإسلام هو الذى أقام مدنية سامية وحضارة زاهية فى القارة الخضراء جنوب الصحراء قبل أن تتحرر أوروبا من قيود الجهالات وغيوب الظلمات.

والإسلام هو الذى أقام دولا وممالك فى غرب أفريقيا، سمع العالم كله بخبرها، وسجل لها التاريخ صفحات خالدة فى مفاخر تالدة.

منها دولة غانا ودولة مالى ودولة سنغاى ودولة برنو ودولة فودى، ولولا الإسلام لما كان شيء من ذلك كله فى القرون الوسطى وقبل نهضة أوروبا الحاضرة.

ونحن نواصل الجهود والجهاد على إعادة الإسلام دينا ودولة لأنه كاف لحلول مشاكلنا الحاضرة فى جميع المجالات.

وهو الدين الذى قرر حقوق الإنسان باثنى عشر قرنا قبل الثورة الفرنسية منذ قرنين ماضيين، وقد وجد فيه الشباب المثقف ضالته المنشودة فى جميع مرافق الحياة، فأقبل عليه عن طواعية واختيار، ولم يعد الإسلام دين الشيوخ والعجائز والعوام والمرضى والزمنى، ولكنه دين الشباب غض الإهاب، متنور اللباب، دين مرن متطور مع التقدم العلمى والحضارى.

لذلك بقى الشباب المسلم يفتخر بإسلامه اليوم ويباشر تعاليمه علانية فى وضح النهار ويبث له الدعاية والدعوة بمكبرات الصوت، ويذيع صوت القرآن فى كل مكان، ويقيم حفلات إسلامية فى كل جماعات ومحلات، ويؤذن لصلاة فى كل مسجد وكل مكان، ويقيم له الندوات والمؤتمرات فى مختلف المناسبات يفعل كل ذلك رغم الدعايات المغرضة والاضطهادات المنظمة ضده وضد هذا الدين الحنيف.

ولم يزل عدد حجاج المسلمين يربو كل عام على ما قبله من الأعوام، مع وضع العدو الصليبى عقبات وعراقيل فى سبيل من يريد الحج من الرجال والنساء.

كل ذلك دليل على حيوية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان. الأمر الذى جعل نصارى نيجيريا يقتبسون من شعائر الإسلام كثيرا مما ليس فى أصول ديانتهم ولا فى فروعها، رجعوا إلى هذا بعد أن بذلوا كل ما فى وسعهم لاقتناص المسلمين إلى دينهم، وعلى الأقل لإبعادهم عن الإسلام بدس السموم فى مبادئه وتاريخه وتشويه وجهه المليح والتجنى على الحقائق التى جاء بها.

فوجدوا أن كل ذلك لا يزيد المسلمين إلا تمسكا بدينهم ولا يضرهم إلا أذى كالجمرة التى يعلوها الرماد، وإذا هبت عليها الرياح عادت متوقدة ملتهبة.

صار النصارى يقتبسون من تعاليم الإسلام ومحاسنه ما ليس فى ديانتهم أمورا كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتى:

أولا: أنهم لما رأوا ما فى الحج فى الإسلام من روعة وكمال ولذة وجمال قرروا وجوب الحج إلى القدس على جميع النصارى، ولم يجدوا لذلك نصا فى توراتهم وفى أناجيلهم وأعمال رسلهم وأساقفتهم الأولين.

ثانياً: لما رأوا ما فى صيام رمضان من سمو الروحانية وارتفاع المعنوية بين المسلمين ليلا ونهاراً طوال شهر رمضان فرضوا على أنفسهم الصيام، ولكنهم عجزوا عن توفيته كما فعلوا فى الرهبانية التى ابتدعوها فما رعوها حق رعايتها.

ثالثاً: لما رأوا ما فى عيد الأضحى من حيوية وأخوية وإنسانية فى تبادل التحايا والهدايا أيام التشريق فرضوا على أنفسهم ذبح

الذبائح كالضحايا فى أول يناير، وما أنزل الله عليهم فى ذلك من سلطان.

رابعاً: لما علموا أن توحد الزوجة لا ينطبق مع تقاليد أكثر الأفارقة، وأن الإسلام إنما أباح التعدد لحل المشاكل الاجتماعية، وأن كثيراً من النصارى أسلموا من أجل جواز التعدد، والآخرون منهم أكثروا الزوجات غير شرعية، اجتمع الأساقفة وقرروا جواز تعدد الزوجات لمن أراد ذلك من النصارى. وهذا قليل من كثير من محاسن الإسلام ومزاياه فى العبادات والعادات.

* * *

• **أما ما كان من النواحي السياسية :**

فإن للإسلام نظاماً خاصاً صالحاً للماضى والحاضر والمستقبل، فنظامه السياسى يختلف عن جميع الأنظمة المعروفة اليوم فى دنيا الناس وتواطأ الناس على عناوينها ولم يتفقوا على تطبيقها منها :

الحكومة الثيوقراطية: وهى التى تكون بيد شخص له سلطة روحية خاصة يستطيع بها أن يشرع ما يشاء كالبابا الذى يتمتع بنفوذ روحى يغفر لمن يشاء ويحرم من يشاء المغفرة.

فالإسلام يخالف هذا النوع من الحكومة ويجعل التشريع بيد الله، والبيان بيد الرسول والاجتهاد بيد الفقهاء والعلماء، يُقبل منهم إن أصابوا ويُرد عليهم إذا أخطأوا.

الحكومة الديموقراطية: وهى التى يتولى عليها الشعب، يختارون من يشاءون لمدة معلومة، ثم يكون لهم الحق فى إعادته أو فى طرده بواسطة الانتخاب، ويكون لكل من بلغ العشرين سنة حق الانتخاب والترشيح، وهو غمر لم يجرب الأمور بعد.

فالديمقراطية اسم اتفق الناس عليه واختلفوا فى تطبيقه، لذلك تجد الديمقراطية فى أمريكا غيرها فى فرنسا وغيرها فى روسيا وغيرها فى إنجلترا وغيرها فى أفريقيا.

فالإسلام يخالف هذا النوع من الحكومة لأنه لا يولى من يرشح نفسه ولا يعطى حق الانتخاب لغير أهل الرأى والعلم والتجربة، وهم أصحاب الحل والعقد.

والحكومة الدكتاتورية: وهى التى يحكم فيها فرد واحد بالحديد والنار، ولا يستمد الأمر والإذن والمشورة من أحد، ويحكم بالقهر والقسر كبعض الحكومات الملكية أو العسكرية فى بعض البلاد.

فالإسلام يخالف هذا النوع لأن النبى ﷺ يقول: «من أم قوما وهم له كارهون لم تتجاوز صلاته أذنيه» والإمامة نوعان: إمامة الحكم، وإمامة الصلاة وهما سيان.

والحكومة الأرستقراطية: وهى الوراثة لطبقة معينة من الأشراف يتوارثونها كابرا عن كابر.

فالإسلام يكره هذا النوع من أنواع الحكم، ولذا لم يعين النبى ﷺ خليفة من أهله أن يخلفه فى الحكم، ولا فعل ذلك أحد الخلفاء

الراشدين وإن كان الأمويون قد أدخلوه على الإسلام رغم كراهيته له أو إنكار العلماء عليهم.

فالحكومة الإسلامية شورية جمهورية نيابية يرأسها تقى ورع يختاره أهل الحل والعقد من مشاهير الشعب، أهل العلم والورع والصلاح والرأى والتجربة، ثم يختار هذا الرئيس من يرتضى من الناس ليعاونوه على أمور الدولة.

وعلى الشعب السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية وإلا فلا سمع ولا طاعة. هذا قليل من كثير فى نظام السياسة فى الإسلام.

أما نظامه فى الأمور الاقتصادية، فللإسلام نظام خاص اسمه تعاونى يبدأ من معالجة الفقر ومواساة الفقراء من الأغنياء والملوك والأمراء، وأهم ما نشأت إلى اليوم من النظريات الاقتصادية ما يأتى:

الرأسمالية: وهى أن يملك العدد القليل من الناس الشركات الضخمة، ويديرها أفراد قليلون لتتضاعف أرباحهم يومياً على حين أن العمال يعانون الفقر، وتقوم الرأسمالية على جمع الثروة بأى وجه كالربا والاحتكار والاستغلال الدائم المستمر.

وقد عاب الإسلام عليها لما فيها من آفة تكديس أموال المجتمع بيد فرد أو أفراد لا يحسنون التوزيع والتوازن ونص تحريمها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ • يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى

بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]

الشيوعية: مذهب يعتبر الأشياء ملكا للدولة تعطى كل فرد قدراً معينا لا يزيد فيه أحد على غيره، وبعبارة أخرى تقسيم الأموال بين الناس بالسوية ودليل تحريمها قوله تعالى:

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]

عاب الإسلام عليها لما فيها من تحريم الملكية الخاصة.

والاشتراكية: مذهب يعتبر المصانع الكبرى للدولة والصغرى للأفراد وبقية الناس شركاء فى كل شيء كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ، وقد عاب عليها الإسلام لما فيها من قتل التنافس على الخير واسترقاق الفرد للدولة ونص تحريمها:

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾

[النحل: ٧١]

أما التعاونية: فهى قائمة على التكافل والتعاون وجعل الأموال لله؛ والعباد خلفاءه فيها لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]

وقوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

[الحديد: ٧]

* * *

• النصرانية والحضارة الغربية الحديثة :

يحسب الشباب الغمر الذى عاش فى القرن العشرين أن النصرانية والحضارة الغربية قرينتان لا تنفكان لأنه شاهدهما فى بلاده اليوم كالتوأمين المتلازمين ولكن الحقيقة بخلاف ذلك.

بل الحقيقة أن النصرانية كانت حجر عثرة فى طريق الحضارة الحديثة ردحا من الزمان واصطلى بنار حربها ألوف من رجال العلم وسقطت ألوف من الضحايا قبل أن تنتصر الحضارة الحديثة على الكنيسة أخيراً.

ثم إن اليهودية والنصرانية ديانتان أجنبيتان فى أوربا لأنهما نشأتا فى المنطقة التى نشأ منها الإسلام فى الشرق الأوسط.

لم يسجل التاريخ نبوة ولا رسالة فى أى بلد من بلاد اليونان والرومان والألمان والبريطان والفرنسيس والأمريكان.

ولم تعرف شعوبها الأنبياء والمرسلين، إنما عرفت الحكماء والشعراء وقواد الحروب وإن كانت هناك ديانة قديمة فهى وثنية قبل أن تدخل عليهم النصرانية التى جاءتهم باليهودية التى هى ديانة بنى إسرائيل وحدهم لذا سموا أنفسهم شعب الله المختار.

هذا وإن كان القرآن قد قرر أن الله بعث فى كل أمة رسولا ولكن التاريخ لم يسجل ذلك كله فى الكتب وقال القرآن :

﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾

[غافـــــــــر : ٧٨]

ثم إن التوراة والإنجيل وملحقاتهما هى الكتب الدينية المقدسة التى لم تتعرض للمباحث العلمية فى قليل ولا فى كثير كما تعرض القرآن لقواعد العلوم ومباحث العقول.

وكانت نصوص التوراة والإنجيل تتعارض دائماً مع العقل والفلسفة ولا تتلاءم مع الحقائق العلمية المكتشفة إذ قد دخلهما التحريف والتبديل.

لهذا قام الصراع بين الكنيسة ورجال العلم من ناحية فتألبت الكنيسة مع الدولة على محاكمة الفلاسفة والعلماء والمفكرين وإدانتهم والحكم عليهم بالشنق والحرق والتشريد فى القرون الوسطى.

كما نشبت العداوة بين رجال الكنيسة ورجال الدولة لأن نصوص الإنجيل خالية تماما من نظم الحكم وقواعد الشرع إنما يوجد فيها : «أعطوا ما لقيصرلقيصر وما لله لله» فجاء رجال الكنيسة وسلبوا الحكم من أيدى الملوك وأساءوا التصرف فيه فقامت الخصومة التى نتج منها فصل الدين عن الدولة.

* * *

• مبدأ فصل الدين عن الدولة :

فى أيام الامبراطور قسطنطين عام ٣٢٤م سيطر رجال الدين المسيحى على الدولة الرومانية حتى أعلن البابا غريغوريس السابع ١٠٨٥م، أن الكنيسة هى صاحبة السيادة فى العالم كله لأنها تستمد نفوذها من الله مباشرة، وأنها معصومة من الخطأ لا تضل ولا تخطئ.

وحدث أن البابا حرم الامبراطور هنرى الرابع ١٠٧٦م فاضطر الامبراطور إلى الوقوف بباب البابا ثلاثة أيام حافى القدمين عارى الرأس تحت الأمطار والثلوج.

وصار لرجال الدين محاكم خاصة ودولة دينية داخل دولة مدنية فشنت الكنيسة حربا على العلماء الباحثين وأنشأت محاكم التفتيش من القرن الثالث عشر حتى الثامن عشر حكمت على ما يزيد على تسعة ملايين حرقا وشنقا وطردا وتشريدا.

ثم ظهرت أقلام المتنورين أمثال أبيلارد ولوثر وديكارت وفولتير ورسو وبيكون وكوبرنيكو وجاليلى.

وصالوا بالأقلام التى أقامت الثورة الفرنسية فأطاحت برجال الدين وحددت سلطة الملوك، فانتقلت السيطرة إلى المجالس الشعبية ١٣٠٢م فضعف بذلك نفوذ الكنيسة وتم شعار فصل الدين عن الدولة، ومن هنا صار رجال الدين خدام رجال الدولة[١].

---

(١) الإسلام والنصرانية للإمام محمد عبده.

وظل التبشير يخدم الاستعمار ويبشر به كما يبشر بالمسيح، وإذا تقدم التبشير إلى بلد استقدم إليه الاستعمار، وإذا تقدم الاستعمار استقدم التبشير ومكنه من كل شيء فصار الاثنان يتعاونان على أمرهما كما هو الواقع فى نيجيريا وما حولها.

وبهذه المقارنة ظهرت مزايا الإسلام على النصرانية لكل عاقل منصف وظهرت مرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان، وأن الإسلام وضع للحياة ومطالبها أنظمة خاصة وقامت عليها الدول والحكومات من غير نزاع ولا صراع بين الدين والدولة.

لهذا ظللنا ندعو كل مسلم إلى التمسك بالإسلام دينا وعقيدة وسلوكا ونظاما ودولة، لنكون قدوة حسنة لغير المسلمين حتى ينتظم فى سلك الإسلام عن اقتناع وطواعية.

* * *

• جوانب النهضة وأطراف التقدم :

لكل فرد من أفراد الأمة أو المجتمع دور هام يلعبه ليدفع عجلة التقدم إلى الأمام، للفلاح دوره فى مزرعته، وللصانع مجال فى مصنعه، وللتاجر مسلك فى بضاعته، وللطبيب مسعى فى مستشفاه، وللميكانيكى مرمى فى حانوته، وللصحفى مقصد فى جرائده ومجلاته، وللكاتب مسرح فى كتاباته، وكل إناء بالذى فيه ينضح، وكل نفس بما كسبت رهينة، وكل راع مسئول عن رعيته.. فليعمل كل فرد ما فى حدود طاقته وإمكاناته، وكل إنسان ميسر لما خلق له وإذا كان لكل نص منطوق ومفهوم ولكل آية ظهر وبطن فليكن

مفهوم الآية الكريمة: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]

وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى التجارة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليحرثوا الأرض وليزرعوها ليستخرجوا للناس من بركاتها ما شاء الله أن ينبت للناس.

وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى الزراعة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليؤسسوا المصانع المختلفة حتى يخترعوا للناس مكتشفات فيها بأس شديد ومنافع للناس.

وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى الصناعة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد والقتال ليدافعوا عن الدين والنفس والمال والوطن ليعيش الناس فى سلام ووئام وأمان.

وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى القتال، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون فلكل مسلم دوره وعمله.

* * *

• كل مسلم مسئول عن حاضر الإسلام ومستقبله :

والمفكر الكاتب أكثر مسئولية عن حاضر الإسلام ومستقبله كما أن كل فرد من الأفراد مسئول فى حد ذاته وفى مجال عمله وعلى كل فرد من طبقات المجتمع أن يشعر أنه جزء لا يتجزأ من

جسد هذا المجتمع، وأن يعمل شيئاً للإسلام مفيداً، وأن يمسك بيده صلاح نفسه وصلاح مجتمعه.

ما حك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

قال الإمام على كرم الله وجهه:

دواؤك فيك وما تشعر

وداؤك منك وما تبصر

أتحسب أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

فأنت الكتاب المبين الذى

بأحرفه يظهر المضمر

فما حاجة لك من خارج

وفكرك فيك وما تصدر

والكُتَّاب والخطباء خير أمة أخرجت لكل قوم ينورون القلوب والبصائر بأقلامهم وتقود البلاد وتقعد من أجل كلماتهم وتقتفى الأمم والأجيال آثارهم يشحذون الأذهان بإزالة ما ران عليها من الصدأ.

ويصوغون النظم والحكم فى قالب من البيان بديع ليهتدى بها المتحيرون إلى الصواب ويرتقى بها المتصعدون إلى الأوج حتى يصلوا إلى ما يصبون إليه فى الدين والدنيا، إذ على صيحاتهم انتبهت أوروبا وتخلصت من غياهب الظلمات.

لأن الثورة الفرنسية الكبرى التى نفضت بها أوروبا ما كان عليها من غبار، إنما هيأ لها أقلام رجال العلم كما سبق ذكرهم.

والنهضة العربية الحديثة إنما هيأها أقلام محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى وعبد الله النديم ومصطفى المراغى وأمثالهم.

ولا تزال تعمل فى الناس أقلام شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وبهجة الأثرى وحسن البنا ومحمد الغزالى وسيد قطب وأخوه محمد قطب وآخرون.

فعلى المتنورين والمفكرين من مسلمى نيجيريا أن يصولوا بأقلامهم وأن يكتبوا ما تجيش به صدورهم من خواطر وأفكار حتى يهيبوا بالناس يفيقوهم من غفلاتهم ويثيروا سواكنهم إلى الحركات.

قال أحد الأدباء: «جعل الله إجالة الوهم فيما تدركه الحواس تبعث خواطر الذكر، وخواطر الذكر تنبه روية الفكر، وروية الفكر تثير مكامن الإرادة، والإرادة تحكم أسباب العمل، فكل شيء يقوم فى العقل، ثم يتمثل فى الوهم ثم يكون ذكرا ثم فكرا ثم إرادة ثم عملا».

ومن ثم فإن أصحاب العقول الكبيرة والنفوس العالية هم قواد الأمم ورواد الأقوام.. لقد قام الكتاب العرب فى أعقاب الحرب العالمية الأولى بتوعية إخوانهم وتنوير أذهانهم فاستفاقوا من غفلتهم من آثار أقلام أولئك الكتاب.

وأذكر على سبيل المثال ما كتبه الأمير شكيب أرسلان فى رسالته الغراء: «لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم ؟» وكانت خلاصة ما كتب :

«إن المسلمين ينهضون بما نهض به غيرهم فلن يتم للمسلمين ولا لأمة من الأمم نجاح ولا رقى إلا بالتضحية - التى هى الجهاد بالنفس والنفيس».

فالمسلمون يمكنهم إذا أرادوا بعث العزائم وعملوا بما حرضهم عليه كتابهم أن يبلغوا مبالغ الأوربيين والأمريكيين واليابانيين من العلم والارتقاء، وأن يبقوا على إسلامهم كما بقى أولئك على أديانهم بل هم أولى بذلك وأحرى، فإن أولئك رجال ونحن رجال.. إنما الذى يعوزنا الأعمال وإنما الذى يضرنا التشاؤم والاستخذاء وانقطاع الآمال.. فلننفض غبار اليأس ولنتقدم إلى الأمام ولنعلم أننا بالغو كل الأمنية بالعمل والدأب والإقدام وتحقيق شروط الإيمان التى فى القرآن:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾
[العنكبوت: ٦٩]

وكتب كاتب إسلامي آخر من بعد شكيب وهو محب الدين الخطيب فى رسالته المسماة «سنن الإسلام» وقال ما نصه ببعض التصرف والتلفيق تحت عنوان: «متى نكون أمة صالحة ؟» بينما كانت أوروبا وأمريكا تتخبطان فى أنانيات أصحاب الأعمال والعمال وتناحرهما، كانت اليابان فى راحة من هذا الفساد بإقبال العمال على أعمالهم مخلصين للمصنع كأنهم أصحابه بل أكثر

مما يعمل أصحابه لو كانت أيديهم فى مكان أيدى العمال فاتسعت بذلك الصناعات.

ولم تبق تحت سماء اليابان يد واحدة بلا عمل من نساء أو رجال فهى بلاد لم تعرف التسول ولم تعرف التعطل وكانت أوروبا وأمريكا تحسدانها على هذا التعاون بين العمال وأصحاب الأعمال وعلى قلة تكاليف الصناعات حتى أغرقت اليابان الدنيا كلها بصناعاتها وغزت بها بلاد أوروبا وأمريكا حتى وأفريقيا.

بل كانت اليابان تعمد إلى صميم ما انفردت به أمة من أمم أوروبا فتقلدها وتصنعه بربع تكاليفه وتبيعه فى البلاد التى كانت تصنعه، فكانت هذه المباراة الصناعية حرباً قبل الحرب وقتالا بلا سلاح.

أيها العرب.. أيها المسلمون: إن الأمم لن تعيش بعد اليوم إلا مرتفعة الرأس بالسيادة.

وللسيادة أعباء لابد من حملها، وللسيادة طرق لابد من سلوكها، وللسيادة أخلاق لابد من التخلق بها، وللسيادة علوم لابد من الحصول عليها، وللسيادة عمل دائر دائب مستمر يتحطم الكسالى والمهملون تحت عجلاته وبين دواليبه. أ هـ [1]

قلت: لقد قام الكتاب العرب يهيبون بقومهم أن يتخذوا أوربا وأمريكا واليابان قدوة لهم فى تقدم العلوم والصناعات،

---

(١) سنن الإسلام، ص ١٥ - ١٧.

فسمع العرب لذلك ودخلوا الآن فى عداد الأمم الصانعة الراقية وإن كانوا لم يصلوا بعد إلى الغاية فقد كان لهم حسن البداية.

فالحرب العالمية الأولى خلفت للعرب الاستعمار والاستغراب وتمزيق الوحدة وإلغاء الخلافة والمحاكم الشرعية، فقام المصلحون يحذرون وينذرون ييسرون ويبشرون، فانتفع بهم إخوانهم الذين يستمعون القول ويتبعون أحسنه.

ثم قامت الحرب العالمية الثانية فأورثت العرب الصراع بين فكرة الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية، فقام المفكرون بتوعية إخوانهم، فاستفاد بهم من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فكيف بنا نحن مسلمى نيجيريا ؟ ماذا كسبنا من الحربين العالميتين ؟ فهل قيض الله لنا من المصلحين من إذا قال صدق، وإذا وعد وفى، وإذا عمل أجاد وأفاد ؟

أم هل منينا بالزعماء الذين هم كالأرضة التى تأكل الأخشاب وتملأ مكانها التراب ؟

أو كنا أمة لا تجد قدوة صالحة من أوروبا وأمريكا ولا من العرب المسلمين مثالا حسنا ؟

قلنا : إن العرب قد استفادوا من أقلام المصلحين المفكرين الكاتبين الذين أيقظوا الناس بعد الحربين العالميتين.

وإذا لم يكن لنا نحن واحد ولا اثنان من الكتاب الذين كتبوا، ولم نستفد من ذلك كما استفاد أولئك الإخوان.

فما علينا إلا أن نتبع العرب ونقتدى بهم فإنهم قبل كل شيء أئمتنا وسادتنا معاشر المسلمين، وقد كانوا يكتبون للمسلمين كما يكتبون للعرب فلنلحق الركب ولا نشذ. ولنقارن بين حالة العرب قبل الحرب وما صارت إليه بعد الحرب من الوعى واليقظة والتحرر والتقدم والوثبة رغم كثرة الأثقال والأغلال.

ولو اتخذنا مصر مثالا لقال بعض الناس إنها كانت مهد الحضارة ومنبع العلوم منذ عهد الفراعنة والبطالسة والرومان فيما قبل الإسلام ولا تزال منذ عهد الإسلام إلى يومنا هذا رأس العالم العربى الإسلامى وأم البلاد الأفريقية وقبلة الطلاب العلمية، وقد تعاقبت عليها الحضارات والمدنيات من عشرات القرون.

فلنتخذ على سبيل المثال أحدث البلاد العربية نهضة وتقدما كالسعودية مثلا، وقد كتب عنها الأمير شكيب أرسلان قبل الحرب العالمية الثانية وقال :

توالت على بلاد الإسلام المقدسة قرون وأحقاب كانت فيها أشد البلاد افتقارا إلى الإصلاح وأقربها إلى الفوضى وأقلها أمنا وأكثرها عبثا وفسادا، وكانت هذه الحالة مخجلة لكل مسلم مؤمن وكانت حجة للأجانب على المسلمين الذين لا يقدرون أن ينكروا ما فى الحجاز من اختلال السبل واضطراب الحبل، مع كونه مهد الإسلام ومركز الحجيج كل عام إلى أن آل الأمر إلى الملك عبد العزيز فلم تمض سنة واحدة حتى انقلب الحجاز من مسبعة تزأر فيها الضوارى إلى مهد أمان وقرارة اطمئنان ينام فيها الآنام بملء الأجفان ولا يخشون سطوة عاد ولا غارة حاضر وباد.

ولو قيل لبشر إن بلادا كان شأنها من الفزع والهول وسفك الدماء وقطع الطرق قد مرد أهلها على البغى والعدوان، ثم يليها ابن سعود فلا تمضى على ولايته لها سنة واحدة حتى يطهرها تطهيرا ويملأها أمنا وطمأنينة لظن السامع أنه يسمع أحلاما وخرافات.. لقد صار حقيقة واقعية فى وقت قصير.

وما أوجد هذا إلا همة عالية وإيمان بالله وثقة بالنفس وقوة إرادة الملك عبد العزيز والتزامه حدود الشرع.

ومن قبيل الإصلاحات المادية العمرانية التى يتوق إليها الحجيج ولا يجدون وهى إصلاحات عصرية لا طاقة للحجاز بها مع قلة الوارد إلى بيت المال، وكان يتحتم على العالم الإسلامى أن يشاطر الحجاز لاسيما أن الحرمين الشريفين ليسا للعرب وحدهم بل لجميع المسلمين.

واستطرد الكاتب إلى ما قامت به الحكومة المصرية فى مد يد المساعدة وما قدمه طلعت حرب، وأمثاله من المحسنين المصريين إلى السعودية.

قلت: فماذا يقول شكيب أرسلان لو عاش إلى هذا الزمان وشاهد التقدم والنهوض فى كل مرفق من مرافق الحياة، وشاهد تهيئة وسائل الراحة والاطمئنان لضيوف الرحمن ؟

لقد عزم آل سعود على بناء المجد والسؤدد للإسلام وبدءوا يعملون أعمالا صامتة حتى أعرب العمل بنطق فصيح لا يتلجلج.

وقد كانوا قبل ذلك حملوا راية نشر التوحيد ومحوا آثار الشرك وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فوفاهم الله وعده وكان لا يخلف الميعاد.

نعم وفاهم الوعد لإيلاف العرب والمسلمين إيلافهم حالتى السلم والحرب ليعبدوا رب هذا البيت الحرام وهذا البلد الأمين وهذه الأرض المقدسة، وفاهم الوعد حيث أطعمهم من جوع بواد غير ذى زرع يجبى إليهم الثمرات من كل صوب وأوب.

وأغناهم بالذهب الأصفر والذهب الأسود وفجر لهم من الأرض ينابيع منها عين زبيدة وعين الزعفران وعين حنين وعيون أخرى كثيرة من بعد عين زمزم.

ثم جعل لهم المالح عذبا فراتا، وأنبت لهم جنات من نخيل وأعناب، وفجر خلالها الأنهار تفجيرا، وبنى لهم بيوتا من زخرف ومعارج عليها يظهرون وعلى الأرائك ينظرون، وآمنهم من خوف الضرب والحرب وآمنهم من خوف الفقر والجهل والمرض وآمنهم من خوف العار والنار.

فيالها من أمة مرحومة أوجدت من الصفر أرقاما بلغت الملايين، ومن أرض قفر جنات وعيونا، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

لم تبلغ السعودية بعد، الغاية التى تصبو إليها فى الاستقلال التام من نفوذ أمريكا واليابان وفى الاعتماد على نفسها بالصناعات والتكنولوجيا، ولكن البداية الطيبة تنبئ عن المستقبل الباهر

والخطوات الحسنة التى خطتها فى هذه المدة القصيرة تثلج الصدور وتؤكد الآمال.

فعلى أبناء نيجيريا الذين يتعلمون فى مصر والسعودية وغيرها من البلاد العربية أن يقتبسوا منها ما امتازت به تلك البلاد من وسائل النهوض والرقى والتقدم ليعملوا على منواله ولينصحوا الأمة والحكومة بقوله : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]

* * *

• الكتاب رواد القوم :

لقد قدمنا فى الصفحات السابقة أمثلة لقلم كاتبين عظيمين من كتاب العرب وهما من عشرات الكتاب الذين مهدوا الطريق للنهضة الحاضرة، وقد ظهر أمثالهم فى الهند وباكستان وغيرهما من العالم الإسلامى.

فهلا وجدنا أمثالهم فى نيجيريا أو وجدنا من يفتح هذا الباب من أساتذة جامعاتنا ومعاهدنا، ومن يضرب على هذا الوتر من خطبائنا ووعاظنا.

لقد وجدنا الكثير من الكتاب فى ميدان السياسة ولم نجدهم فى ميدان الدين الإسلامى، والكتاب رواد الأفكار الذين يسبقون زمانهم ولا يكذبون قومهم، وهم نجوم السماء ومصابيح الظلام الذين يهتدى بهم قومهم ويقتدى بهم أممهم.

وعندى أن عدم وجودهم فى نيجيريا إما أن يدل على عدم النضوج الفكرى، وإما أن يدل على قلة الاهتمام بأمر الإسلام والتفكير فى حاضره ومستقبله.

فإنى أهيب بكل مفكر غيور من أبناء الجامعات وغيرهم أن يملأوا هذا الفراغ وأن ينشروا كل ما يكتب فى هذا الباب لينتفع به العام والخاص من أولى الألباب.

* * *

- **((لا تقنطوا من رحمة الله)) :**

لا تقـــل قـــد ذهبـــت أربابه

كـل مـــن ســـار علـــى الـــدرب وصـــل

على كل مصلح أو كاتب أو عامل ألا يقنط ولا ييأس فليتيقن أنه لابد له من النجاح فى إصلاحه إما عاجلا أو آجلا، والنجاح ألوان وأشكال.

قال أحد الحكماء: «ليس كل من ينال النجاح يستحقه ولا كل من يستحق النجاح يناله، إنما النجاح بالزمان والمكان وإنما النجاح ألوان وأشكال».

والنجاح يبدأ قليلاً ثم يكثر أو صغيرا ثم يكبر، أو محدودا ثم يتسع ويكتسح، وما يكون نجاحا فى زمان ومكان لا يكون كذلك فى غيرهما.

لقد اختلف النجاح عند الأنبياء والمرسلين، وكذلك اختلف عند الصالحين والمصلحين، وقد يكون النجاح على شكل الفشل كما فى بعض الدعوات الفكرية والمذهبية، وربما كان متأخرا عن الأوان ولكنه على كل حال نجاح مهما كان.

لقد نجح الشيخ «عثمان» فى هذه البلاد بالقرن الماضى حيث قام بالجهاد للإصلاح فتغلب على جميع ملوك «هوسا» السبع وأسس دولة إسلامية كبرى.

ونجح الإمام «محمد بن عبد الوهاب» فى دعوته الإصلاحية متعاونا مع آل سعود، فنجحت نجاحا ملموسا باقيا إلى يومنا هذا.

ونجح «محمد المهدى» فى السودان العربى حيث قاوم الفساد والاستعمار الإنجليزى فنجح حتى أقام حكومة الدراويش بعد قتلهم الجنرال الإنجليزى ودامت الحكومة قرابة نصف قرن.

ولو اتفق أن «عثمان بن فودى» قام فى هذا الزمان لما كان نجاحه على مثل ما كان فى الماضى، ولو اتفق أن «محمد بن عبد الوهاب» قام فى هذا الوقت لما كسب المعركة، لذلك لم ينجح

الإمام «حسن البنا» كما نجح الاثنان، ذلك لأن زماننا غير زمانهم والأرض غير الأرض اليوم مع أن «البنا» قد نجح فى إصلاحه وإن لم ينجح فى إقامة دولة لصعوبة ذلك فى هذا الزمان.

أليس من الصعب اليوم أن يؤسس داعية حكومة بطريق الدعوة الدينية، إلا ما يكون عن طريق الثورة، كما فى إيران الإسلامية ؟

أليس من الصعب أن يؤسس رجل مدنية جديدة خارج أى دولة من دول العالم الحاضر، وقد توزعت الأراضى بين أصحابها وقسمت الحدود بين الدول؟ ومع ذلك فلابد لكل داعية من النجاح وإن كان فى النجاح ألوان وأنواع.

* * *

• هل نكافح الأمية أم نحارب الجهالة فى نيجيريا ؟

العلم أول أسباب النهضة والرقى، والتعليم إزالة الأمية والجهالة، والأمية: عدم معرفة الكتابة والقراءة فى أى لغة من اللغات الحية. ومن عرف القراءة والكتابة فى اللغة العربية لم يبق أميا ولو لم يعرف الانجليزية والفرنسية وهكذا بالعكس.

فالمدارس الابتدائية والوسطى تكافح الأمية لا غير، والثانوية والعالية تحارب الجهالة، إن فكرة فتح المدارس التى خلبت أذهان الكثيرين منذ نصف قرن إلى اليوم لم تتجاوز حدود مكافحة الأمية وهى الخطوة الأولى من خطوات النهضة، لأن أكثر الذين تعلموا فيها وتخرجوا لا يزالون جهلاء مع أنهم يقرءون ويكتبون، ومنهم

من ليسوا جهلاء ولكنهم لم يرتفعوا بعلومهم إلى العمل به أو إلى إفادة غيرهم فصاروا مع الجهلاء سواء.

ومحاربة الجهالة هى الخطوة الثانية، وقد بدأناها ولم نكملها بعد، ولا يتجاوز عدد من يقرأ ويكتب فى نيجيريا عموما أربعين فى المائة، وعدد من يعتبر عالماً منهم لا يتجاوز عشرين فى المائة ولكن العدد فى ازدياد.

والجهالة: عدم معرفة ما يلزم الإنسان فى دينه ودنياه وعدم قدرته على الاعتماد على نفسه فى شئون الحياة وعدم تقديم ما يحمل أمته على الاستقلال بنفسها.

والعلم: إعداد الفرد لإفادة نفسه فى الصحة والمرض والغنى والفقر، ثم لإفادة أمته ما يحتاجون إليه فى جميع هذه الأشياء.

ومن ثم فإن كل أمة وكل حكومة تحارب الجهل والمرض والفقر.

وكل حكومة تنفق الملايين فى نشر العلم ليستطيع كل فرد أن يفيد نفسه وأمته وحكومته فى جميع مرافق الحياة.

أما الفرد الذى يتعلم لإفادة نفسه فقط فهو نصف عالم ونصف جاهل «كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى».

وأكثر أهل نيجيريا خصوصا المسلمون لا يزالون فى هذه المرحلة، فعلينا أن نجدَّ فى السير حتى نجتاز هذه المرحلة إلى ما فوقها وذلك مرحلة النضوج العلمى الذى يورث الإنتاج التكنولوجي «التصنيعى».

والتكنولوجيا «التقنية» هى الإنتاج الحاصل من تطبيق الحقائق العلمية الناضجة، وبعبارة أوضح «التصنيع».

والنضوج الفكرى ينتج الأدب الرفيع، والنضوج العلمى ينتج الاختراع الصناعى لإفادة الأمة.

وإذا ظللنا نكافح الأمية طوال هذه المدة المديدة فمتى نبدأ فى محاربة الجهالة ؟ ولو فرضنا أننا انتصرنا على الجهالة فهل بدأنا فى محاربة المرض والفقر حتى الآن ؟ وهما الميدانان اللذان تتجلى فيهما ظاهرة التكنولوجيا من كل فرد وكل أمة وكل حكومة.

* * *

• **محاربة الفقر :**

لقد سبقنا المبشرون النصارى إلى محاربة الفقر ضمن نشر ديانتهم بإنشاء المتاجر والمزارع والمعامل والمصانع فاستطاعوا بذلك رصد الملايين من عقارات ومحلات وأوقاف لخدمة ديانتهم فانتصروا على البطالة التى تعقب تعليم أبنائهم.

فلكل كنيسة من كنائسهم الخبوس الدسمة تدر عليهم الأموال بالدوام ونحن المسلمين الذين علمنا الإسلام الإنفاق فى سبيل الله وسار عليه المحسنون الأولون حتى أوقفوا الأراضى والمنازل والعقارات على المساجد حتى صار لكل مسجد وقف فى كل بلد إسلامى مما أسس من أجله وزارات الأوقاف فى كل قطر، فليس لنا فى نيجيريا ما يقوم هذا المقام حتى الآن إلا ما كان من بعض الأغنياء المسلمين وهم الأقلون من فتح المؤسسات والمصانع والمتاجر لتوظيف عدد قليل من المتخرجين فى المعاهد والجامعات.

ونحن نهيب أولا بالأغنياء المسلمين: أن يصرفوا عنايتهم لخدمة الدعوة الإسلامية وتوظيف إخوانهم المسلمين كما يفعل المبشرون للإنجيل والكنيسة، وأن يوقفوا الحبوس والأوقاف على المشاريع الخيرية وعلى المساجد والمعاهد.

ونهيب بهم ثانياً: أن فى الأرض مجالا واسعا لا حجر فيه لإنشاء المزارع والبساتين التى تكون متاعا للناس ولأنعامهم.

ونهيب بهم ثالثاً: أن تربية الحيوانات الداجنة من الأنعام والطيور للاستهلاك المحلى وللتصدير الخارجى لابد منها.

كل ذلك قوام المعيشة والحياة إذ ما من أحد من سائر طبقات الناس إلا وهو يأكل الطعام الذى هو وقود الجسم ولا يتحرك الجهاز إلا بالوقود.

فإن البلاد المصرية التى تزرع على ضفاف النيل استطاعت أن تعتمد على نفسها فى تغذية أهلها دون الاستيراد من الخارج، وإن كان فهو قليل بالنسبة لما نحن نفعل فى نيجيريا.

فكيف بنا نحن وكل شبر من أشبار أرضنا خصب للزراعة، والسماء تروى الأرض وتنبت النبات من دون كلفة ولا مشقة؟!

- **محاربة المرض** :

امتاز التبشير الصليبى بمحاربة المرض منذ أن كان النبى عيسى - عليه السلام - يبرئ الأبرص والأكمه ويقيم الأقعد بالمعجزات التى أعطاه الله إياها.

ولما جاء أتباعه ولم يعطوا مثل هذه المعجزات استعاضوا عنها بفتح المستشفيات والمستوصفات.

وليس لنا نحن المسلمين شيء يقابل ما عند النصارى من المستشفيات للأمراض الباطنية والعقلية والجسدية والرمدية.

ولازلنا حتى الآن نعتمد على ما بناه التبشير من ذلك أو ما بنته الحكومة ولا فرق بين هذا وذلك من ناحية خدمة الصليب وكلها تحمل شارات الصليب الأحمر على أبوابها وعلى مواصلاتها ومنشوراتها.

وكانت هذه المستشفيات تفتح أعمالها اليومية بصلوات التثليث ومطالبة المرضى بأن يعتقدوا أن المسيح هو الذى يعطيهم الشفاء وليست الخدمات التى يقدمونها فحسب.

كم سمموا بذلك الأفكار وزعزعوا العقائد وشككوا فى الإيمان، وقد اكتظت المدن والقرى بمستشفيات التبشير فى جميع الأقطار.

فقد آن الأوان لنا نحن المسلمين أن نعمل شيئاً حذاء ذلك كله ولا نقف مكتوفى الأيدى متفرجين أو متطفلين على موائد غيرنا فليعمل كل حسب إمكاناته وطاقاته.

ولقد كان علماؤنا يقومون بمحاربة المرض على منهج ما وضعه السلف الصالح فى علم الطب وكانوا يستعينون بكتب الطب النبوى وما وضعه أمثال السيوطى وداود الأنطاكى من كتب الطب الإسلامى.

وكانوا يضيفون إلى ذلك ما توارثوه من أجدادهم فى هذه البلاد، وكان هذا شائعا منتشرًا فى هذه البلاد قبل الاستعمار.

ولدينا ولدى الكثيرين من علماء هذه البلاد العلم بالأعشاب والعقاقير والنباتات التى كانوا يعتمدون عليها فى معالجة الأمراض كلها.

ولكن الأطباء الغربيين لما جاءوا حذروا الناس من استعمالها لكى يروج طبهم ولا يزال من يعرفها ويستعملها يفضلها على الأدوية الأوروبية المستوردة.

أنا أعرف من هذا القبيل ما قد جربته مرات وجربه أكثر من مائة شخص فوجدوه صحيحا للضغط الدموى وللتورم ولجلاء العينين.

ولقد شعرت بضعف البصر منذ عام ١٩٤٠ وأردت أن ألجأ إلى استعمال النظارة فمنعنى والدى - رحمه الله - وأمرنى باستعمال هذا العلاج فاستغنيت به عن النظارة إلى يومنا هذا.

وفى هذه الأعشاب والعروق والحبوب التى امتلأت بها الغابات خاصيات نستطيع أن نكتشف بها الاختراعات التكنولوجية فى فن الطب والعلاج ما يفيد العالم كما تفيدنا أوروبا وأمريكا.

لو أن الأطباء من أبناء البلاد صرفوا عنايتهم إليها وبنوا بحوثهم فيها على قواعد الطب الحديث لأتوا بالعجب العجاب.

لقد ظهر الآن فى عالم الطب كتب كثيرة أخرجها الأطباء المحدثون فى خاصيات النباتات والأعشاب مما يدل على صحة استعمالها.

* * *

• الإسلام وكيف انتشر فى نيجيريا :

فى فجر يوم من أيام عام ٥٧٠م أشرقت شمس الإسلام بواد غير ذى زرع عند بيت الله الحرام، حيث أسكن جدنا إبراهيم أبو الأنبياء ولده إسماعيل ليقيم ذريته الصلاة بها فكثرهم الله وجعلهم أمة مسلمة إلى أن بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم حتى أصبحوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون.

خرجوا من غور تهامة وجو يمامة يحملون نور الإسلام إلى سهول الأرض وجبالها يبددون بنور الإسلام غياهب الكفر والإلحاد فى كل مكان فاستضاء به نصف الكرة الأرضية فى أقل من نصف قرن واحد من الزمان.

فكان من الجهات التى استضاءت بنور الإسلام فى الصدر الأول من القرن الأول بلاد السودان التى تسمى بلاد التكرور أو غرب أفريقيا أو نيجيريا.

ولقد دخل الإسلام فى شمال أفريقيا على إثر دخوله القطر المصرى ضمن فتوحات سيدنا «عمر بن الخطاب» الذى عين أحد الصحابة «عمرو بن العاص» على مصر والشام ثم عين «عمرو» بدوره «عقبة بن نافع الفهرى» لفتح شمال أفريقيا، فسار «عقبة» إلى أطراف المغرب فدخل عاصمة غانا العليا القديمة «أوداغشت» فكان بذلك دخول الإسلام إلى غرب أفريقيا.

ولما كان الإسلام ينتشر انتشارا طبيعيا بما فيه من القوة الروحية، انتشر تدريجيا إلى جميع أقطارها خلال قرن واحد من الزمان.

* * *

• من أسباب انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا :

لقد كان الجنس الأسود موسوما بالخسف والهوان فى تاريخ شعوب العالم قبل الإسلام، لم يعترف الجنس الأبيض بدولة سودانية قبل ظهور دولة غانا ومالى وسنغى الإسلامية.

بل بالعكس من ذلك أن الجنس الأسود كان يعتبر أداة للتسلية ومثاراً للضحك أمام الفراعنة والأباطرة والقوارين(*) بل كان مسخرا للأعمال الشاقة فى كل مكان حتى صار اللون الأسود شعارا للعبودية، وصارت كلمة عبد مرادفة لكلمة أسود فى لهجة سوريا ولبنان وغيرهما من البلدان.

ولما جاء الإسلام كان من أهم أعماله تحرير السود من عبودية البيض حيث قال النبى ﷺ: «لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو عمل صالح».

وكان أول وسام الشرف الذى قلده الإسلام على الداعى إلى الله هو وسام الأذان الذى قلده النبى ﷺ لبلال الحبشى الأسود الذى ينادى إلى الصلاة فى أوقاتها الخمسة فيسرع كل شريف وعظيم إلى تلبية ندائه.

فكان عدم التفرقة العنصرية بين لون ولون وبين جنس وجنس مما يساعد على نشر الإسلام فى ربوع أفريقيا.

(*) نسبة إلى قارون.

واليوم فى نهاية القرن العشرين نجد زنوج أمريكا يندفعون إلى الإسلام لنفس السبب، حيث ظلوا يقاسون أنواع الاضطهاد من أجل لونهم بين أرقى شعوب العالم الأبيض، ومن وسط الذين ينادون بالحرية وحقوق الإنسان.

وجد الإسلام أمم السودان أمة أمية فنشر بينهم الكتابة فصاروا فى عداد الأمم القارئة الكاتبة، ألّف منهم عدد كبير عدة كتب منها تاريخ أفريقيا الذى به عرف الأوربيون تاريخ تلك البلاد.

ووجدهم على الجاهلية والهمجية فرفعهم إلى مصاف الأمم المتحضرة، وقد تمتع الجنس الأسود بثقافة الإسلام قرونا طويلة قبل أن تتفتح عيون أوروبا للنور وقبل أن يدخلوا أفريقيا فاتحين قاهرين مستعمرين[1].

العرب هو أول من نشر الإسلام فى غرب أفريقيا، ثم تلقاه منهم العجم كالبربر وسائر أجناس السودان وطبقاتهم من ملوك وأمراء وعلماء وفقهاء وعباد ونساك كل قد ساهم فى خدمة الإسلام ونشره فى حدود إمكاناته وطاقاته.. ويمكن حصر أقسامهم الرئيسية فى الأصناف الآتية يستحقون أن يطلق عليهم لفظ الدعاة كما لا يستغرب أن يقوم إلى جانبهم من يطلق عليهم لفظ أدعياء من كل طبقة ومن كل قبيل، وكانوا يضرون الإسلام بالكيفية التى لم يعرف أعداء الإسلام أن يضروه بها.

* * *

(١) من محاضرة ألقاها المؤلف فى جامعة كانو عام ١٩٧٧م فى ندوة التربية.

الدعاة والأدعياء

الدعاة: جمع داع وداعية..

والداعية مبالغة من الداعى وهو الذى اتخذ الدعوة صناعة له أو لازم الدعوة على الدوام حتى اشتهر بها.

والدعاة إلى الله لا يكونون على نوع واحد ولا على شكل واحد بل هم أشكال وأنواع:

أولا: الدعاة المتفرغون للدعوة وهم أيضا أنواع:

الأئمة فى المساجد والخطباء على المنابر والوعاظ فى المجتمعات والأسواق.

المدرسون فى المدارس والمعاهد والمؤلفون فى الدفاتر والكراريس وهؤلاء كلهم متفرغون للدعوة وربما يكسبون أرزاقهم من صناعة الدعوة.

ثانياً: الدعاة المتطوعون بالدعوة إلى جانب صناعتهم الأصلية وهم أنواع:

الملوك الفاتحون كالذين أقاموا الدول والممالك فى مختلف الجهات أمثال «يوسف تاشفين» فى المغرب «وأسكيا محمد» و«منسا موسى» فى غرب أفريقيا، وهؤلاء قد مهدوا طريق الدعوة للواعظين المرشدين، ولولا فتوحاتهم لما تكن الدعاة من نشر الإسلام بين أوساط الكفار.

ثالثاً: التجار الذين كانوا ينقلون البضائع من بلاد إلى بلاد ويتصلون بالجماهير فى مختلف الطبقات وربما كانوا يدعون إلى الإسلام بأعمالهم وأخلاقهم ومعاملاتهم أكثر من الوعظ والإرشاد.

ولقد عرف العالم الإسلامى هذا النوع كثيرا فى كل قطر وفى كل مصر.

رابعاً: الصوفيون النساك الذين كان الملوك والأمراء يستعينون بدعائهم فى قضاء مآربهم فتتم لهم على سبيل الكرامات لأنهم أولياء الله تعالى.. وهم الذين كانوا يقومون بدور الأطباء فى النصرانية وكانوا يهتمون برحمة الضعفاء وإيواء المنكوبين فى زواياهم.

ومن هنا ظهر الدراويش، وليست الزوايا إلا ملاجئ المنكوبين والملهوفين والمرضى فيجدون من أولئك الصوفيين إغاثات.

خامساً: الحكام والموظفون الذين يستغلون مناصبهم العالية لنصرة الإسلام، والأثرياء الذين يساعدون البؤساء والمنكوبين حتى جذبوا بفعلهم هذا عددا كثيرا إلى الدخول فى الإسلام.

وكل هؤلاء الأصناف هم الذين ساعدوا على نشر الإسلام فى الماضى والحاضر حتى استغلظ واستوى فى غرب أفريقيا بل فى كل مكان، غير أن الإسلام قد منى بالأدعياء إلى جانب هؤلاء الدعاة.

والأدعياء: جمع دعى وهو من ينتسب إلى قوم وليس منهم.

أو من يتخلق بأخلاق قوم فى الظاهر وهو يعتقد غير ذلك فى الباطن.

وأصل الدعى: الزنيم الذى يدعى إلى غير أبيه أو يدعيه غير أبيه.

وقال ابن كثير: يستعمل الزنيم للمشهور بالشر بين الناس ويغلب على أولاد الزنى. لأن الشيطان يتسلط عليهم غالبا ما لا يتسلط على غيرهم.

وخلاصة القول: إن كل من ينتسب إلى نسب ليس منه فهو دعى ذلك النسب، وإن كل من ينتسب إلى حسب ليس فيه فهو دعى ذلك الحسب، والنسب هو الدم والعنصر والرحم، والحسب هو الدين والشرف والكرم.

والأدعياء هم الذين يعينون العدو على أنسابهم أو على أحسابهم على غرار ما ذكره النبى ﷺ فى الحديث وسماه «فتنة السراء».. «دخنها من تحت قدمى رجل من أهل بيتى يزعم أنه منى وليس منى، وإنما أوليائى المتقون» فى حديث طويل رواه أبو داود والحاكم.

لقد أوضحت هذا البيان لتحقيق القول بأن كل طبقة من طبقات الناس قد ساهموا فى نشر الإسلام كما ساهم كل طبقة منهم فى إمراضه وإضعافه وإدارة عجلته إلى الوراء.

خلافا لبعض الكتاب الذين حملوا الطوائف الصوفية جميع المسئولية وسموهم وحدهم أدعياء وقد نسوا أن الدعاة ليسوا من صنف واحد فلا يكون الأدعياء من صنف واحد.

لقد وجدنا الدعاة من رؤساء الدول الذين قامت دولتهم على أساس الدعوة وأيدوها بكل ما أوتوا من الملك والسلطة كالرعيل

الأول من الصحابة وكأمثال الموحدين فى المغرب «ومحمود الغزنوى» فى الهند و«أسكيا محمد» و«عثمان بن فودى» فى أفريقيا وآخرون لا يحصون.

ووجدنا إلى جانبهم من أقاموا دعامة دولتهم على أساس الإسلام، ولولا الدعوة لما كانت لهم دولة ولكنهم فى آخر الأمر خذلوا الدعوة وسخروها للدولة فكانوا أدعياء أمثال بعض خلفاء بنى أمية وبنى العباس وكل من على شاكلتهم من بعض الزعماء والرؤساء فى نيجيريا اليوم وغيرها من بلدان العالم.

وكذلك وجدنا الدعاة من الأثرياء من وضعوا ما آتاهم الله من مال تحت تصرف الدعوة كما فعل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من المحسنين من كل قبيلة وشعب من كل قطر ومصر إلى يومنا هذا.

وكذلك وجدنا إلى جانب هؤلاء من جمعوا ثرواتهم من بركات الدعوة، وبعد أن أثروا قلبوا للدعوة ظهر المجن وصاروا عونا عليها، جوعوا الدعوة لكى يشبعوا وأفقروها وهى التى أغنتهم فصاروا بذلك أدعياء.

وكذلك وجدنا من علماء السلف من نصروا الدعوة بعلومهم كما فعل الفقهاء الأولون والمحدثون، ثم وجدنا من العلماء من خدموا الملوك والأغنياء بعلومهم وخذلوا الدعوة وأخلدوا إلى الأرض واتبعوا الشهوات واستحبوا العمى على الهدى فكانوا أدعياء.

والتصوف وليد الزهد والنسك وتربية النفوس، والتصوف مقام الإحسان الذى هو آخر مراتب الإيمان والإسلام.

فيهم المخلصون لله دينهم فهم دعاة وإلى جانبهم المبطلون الذين انحرفوا عن جادة الاستقامة فكانوا أدعياء.

ووجدنا من ينتسبون إلى السلفية لغرض فى أنفسهم أو مرض فى قلوبهم أو حقد أو حسد فى صدورهم، فلم يفهموا السلفية تماما، بل كانوا أبواقا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. أليس هؤلاء أدعياء؟

فجميع المسلمين ملوكا ورعايا وعلماء وفقهاء أغنياء وفقراء رجالا ونساء كلهم قد ساهموا فى خدمة الإسلام ونشره فى بداية الأمر، وكلهم كذلك قد ساهموا فى أسباب تخلفه فلا ينبغى إحالة الجريمة على بعضهم دون البعض الآخر.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٢]

فعلى جميع طبقات الأمة أن يستغفروا الله ويتوبوا إليه وأن يعمل كل واحد فى حدود طاقته لإعادة مجد الإسلام ونشره بين الأنام.

- **انتشار الإسلام بذاته وقوته الطبيعية :**

إن انتشار الإسلام فى نيجيريا وما حولها لم يلتزم الأساليب المذكورة وحدها بل كان ينتشر بذاته وقوته، وكثيرا ما تكون شعائر الإسلام نفسها عونا على انتشار الإسلام وجذبا لنفوس الناس إليه.

وقد كان لصيام رمضان وما يقارنه من صلاة التراويح ومجالس الوعظ وقراءة القرآن وحفلات ليلة القدر وليالى العيد ومظاهر

التعييد وما يصاحبه من الأذكار والصلوات جاذبية قوية تجذب النفوس والقلوب وتأخذ بمجامع الألباب.

وكان لما يرافق الحج من حفلات التشييع والاستقبال وما يشتمل عليهما من قصائد وأناشيد فى مدح النبى ﷺ وذكر فضائل الحج والحجاج باللغة العربية واللغات المحلية وما يناله الحجاج من التعظيم والتبجيل أثر بعيد فى ازدياد عدد الحجاج إلى بيت الله.

كل هذا وذاك ميزة من مزايا الإسلام ومحسنة من محاسنه التى لا يوجد لها مثيل فى النصرانية المنافسة للإسلام.

وكل ذلك يؤثر على قلوب الكبار والصغار من الرجال والنساء فيدخلون فى دين الله أفراداً وجماعات عن طواعية واختيار.

وإذا قلنا إن بعض الملوك الفاتحين والغزاة المنتصرين قد قاموا بفتوحات فى بعض النواحى والأرجاء، وأن الناس قد دخلوا فى الإسلام من جراء الانتصارات التى أحرزها الفاتحون فى ميادين الفتح فليس ذلك فى جميع الأماكن.

وإذا دعت الحاجة إلى استعمال السيف وإعلان الجهاد فى بعض الجهات فليس ذلك إلا على سبيل الدفاع عن النفس أو عن الدين كما وقع للشيخ «عثمان بن فودى» فى نيجيريا ولـ«أسكيا محمد» فى دولة سنغاى من قبل.

أما ما يتمشدق به النصارى أن الإسلام قد انتشر بالقهر والقوة فعليهم أن يفسروا بقاء الوثنيين الذين ظلوا يعيشون جنباً إلى جنب

مع المسلمين تحت كنف الدولة الإسلامية فى كل قطر من الأقطار التى حكمت تلك الدول منذ قرون.

ومع ذلك بقى فيها الوثنيون إلى يومنا هذا مع تعاقب الدول والحكومات الإسلامية فيها منذ خمسة قرون فى بعض الجهات نحو كانو وكاشنه، أو منذ سبعة قرون فى الجهات الأخرى كبرنو ونحوها.

ولو أن تلك الدول والحكومات كانت ترغم الناس على الدخول فى الإسلام أو كانت تأخذ بالسيف لما استطاع التبشير أن يعثر على من يعتنق المسيحية عند احتلالها لهذه البلاد، ولكن النصرانية الصليبية هى التى ترغم الناس على الخروج من الإسلام حتى ولو لم يعتنق النصرانية بل يبقى لا دينيا خير لها من أن يكون مسلماً.

* * *

• انتشار النصرانية بالحرب الباردة :

لقد سبق الإسلام إلى نيجيريا بنحو سبعة قرون قبل أن تجد النصرانية لنفسها طريقا إليها، منذ قرن ونصف القرن حتى الآن.

لقد قامت دولة الإسلام فى برنو بالقرن الحادى عشر الميلادى وقامت دولته فى بلاد كانو أيام «محمد رنفا» فى القرن الثالث عشر الميلادى (التاسع الهجرى).

وعرف أهل بلاد يوربا الإسلام (فى أويولى) بالقرن الخامس عشر الميلادى، وكان أول مسجد بنى فى لاغوس ـ عام١٧٧٤م ـ مسجد أوكيتى ومسجد أدولوو.

وعلى الرغم من عدة محاولات قام بها التبشير الصليبى على أيدى البرتغاليين والإسبانيين والطليان لإدخال النصرانية فى بنين وبرنو منذ القرن الخامس عشر الميلادى لم يتمكن التبشير من إرساخ قدم النصرانية وبناء كنيسة لها إلا فى عام ١٨٤١م حيث نزل المبشرون أولا فى بداغرى ثم فى أبيكوتا، ثم فى لاغوس ثم اونشا وكلابار وغيرها.

ومن أوروبا عبر المحيط الأطلسى حتى الشاطئ الغربى من أفريقيا أقبلت النصرانية إلى نيجيريا بصحبة الاستعمار.

وبفضل مساندة الاستعمار وقوة الدعايات المدعمة بالتعليم والتطبيب والتوظيف الموسومة بمحاربة «الجهل والمرض والفقر» ارتفعت الكنائس ودقت النواقيس ووزعت الأناجيل ورسمت الصلبان على كل شيء وعلى كل مكتبة، بل على كل مستشفى فى جميع العواصم فأصبحت نيجيريا كلها فى أقل من قرن ونصف القرن من الزمان تحمل شارات النصرانية فى الشوارع والأسواق والبيوت، فى المدن والقرى والأرياف، فى المحلات ووسائل النقل ودور العلاج والتعليم ومكاتب الحكومة.

وفى هذه المدة الوجيزة ارتفع عدد النصارى من الصفر إلى الملايين حتى كاد يتساوى مع عدد المسلمين الذين كانوا يشكلون الأغلبية منذ قرون.

ومن أجل اتحاد التبشير والاستعمار لم يستطع النيجيرى أن يفرق بين الاثنين وهو مغلوب على أمره باحتلال القوى الاستعمارية التى ظلت تمهد الطريق للتبشير وتفوض إليه التعليم والتطبيب.

يرتقى المسيحيون فى الوظائف مهما كانت ثقافتهم سافلة بخلاف المسلم وهو مهما كانت ثقافته عالية، فإنه يرغم على أن يقتنع بالصف الثالث أو الرابع، وقليل منهم من يرتقى إلى الصف الثانى فى القضاء والإدارة وقوة البوليس والجيش.

وبما أن الاستعمار قد أعطى التبشير زمام التعليم للثقافة الغربية قد أخذ الطريق على أبناء المسلمين الذين لا يحصلون على التعليم ولو بأموالهم إلا من رضى بتغيير اسمه الإسلامى إلى الاسم النصرانى أو إلى الاسم الوثنى الأعجمى قبل أن يقبل فى المدرسة ثم يرغم على حمل الإنجيل معه وعلى حضور الكنيسة يوم الأحد.

فقد تنصر من جراء ذلك مئات من أبناء المسلمين نذكر على سبيل المثال من مشاهير الطليعة الأولى:

تنصر ريفرين «فانى موكن» ١٩٠٦م وكان اسمه زبير.

وتنصر «أديميا ألاكيجا» وكان اسمه طاهر.

وتنصر «بدماصى من اكورودو» وحول اسمه إلى بينسن سنة ١٩١٤م عند دخوله غراماسكول، وغير تهامى اسمه تيوفلوس بينيس، هكذا لاوغن شنيا غير اسمه من ثعلبى.

وأخيرا ارتد حمزة الذى يدعى «أكنلوبى» من زعماء الأحزاب السياسية، وكذلك عبد الرشيد الذى غير اسمه إلى «رشاد أكنجيدى» وعدد من أمثالهم.

لمثل هذا امتنع المسلمون من إدخال أبنائهم المدارس خوف ارتدادهم، لقد بدأ ذلك من أول دخول النصرانية واستمر إلى عهد غير بعيد.

وإنما بدأ التحسين حين جاء إلى نيجيريا دكتور ويلمت بليدن حوالى ١٨٩٥م وكان مستشرقا من أهل جزر الهند الغربية وله اتصال وثيق بالسلطان عبد الحميد من أواخر الخلفاء الأتراك كما كان له علاقات مع الملكة «فيكتوريا» تولى وزارة المعارف للحكومة الإنجليزية فى سيراليون، وسبق أن عرف مشكلة التبشير والتعليم فى أوساط المسلمين هناك وباشر كيفية علاجها.

ولما جاء إلى نيجيريا وأدرك المسلمين فى هذه المشكلة وهذه الورطة أعانهم بمطالبة الحكومة بإنشاء مدرسة خاصة للمسلمين باسم مدرسة الحكومة الإسلامية كما فعلوا فى سيراليون ونفذ هذا الطلب ١٨٩٨م وفتحت المدرسة وتولى نظارتها الشيخ إدريس إنماشاهن وهو من العلماء المسلمين الذين تلقوا العلوم الإنجليزية بعد تبحرهم فى العلوم الإسلامية فأبلى بلاء حسنا فى إدارة المدرسة حتى تخرج منها عدد كانوا النواة الأولى من أبناء المسلمين للثقافة الإنجليزية.

منهم آدم إنماشاهن وتهامى باشورن من أعيان لاغوس وطاهر بورى بورى الواعظ المشهور فى لاغوس، ومحمد الأول أغسطو الذى صار أول محام مسلم فى نيجيريا ومصطفى أيكمدى إمام أنصار الدين وزوجته الحاجة وليمة كأول امرأة مسلمة مثقفة.

ولما علم التبشير بنجاح المسلمين، وأن هذه المدرسة صارت حجر عثرة لهم فى طريقهم وصارت تتحداهم وتصد تياراتهم الجارفة تآمروا عليها بعد وفاة ناظرها الأول وتألبوا على سير أعمالها فحولوها إلى مدرسة حكومية ونزعوا منها شارة الإسلام، ومن هنا شمر المسلمون عن ساعد الجد لتأسيس الجمعيات وإنشاء المدارس لأبناء المسلمين كما سيأتى قريبا.

هكذا ظل التبشير يعمل فى الظلام وفى وضح النهار يحارب الحرب الباردة، ويضع الطعمة فى الشص ليصيد السمكة ويقتل صبرا كل من خالفه.

يدعى إغاثة الملهوف ونصرة الضعيف وهو كذاب إنما يفعل ذلك للتنصير.

يدعى نشر العلم والمعرفة والحضارة وهو كذاب إنما يفعل ذلك للتنصير.

يدعى رحمة المرضى وخدمة الإنسانية بفتح المستشفيات وهو كذاب إنما كان ذلك للتنصير.

ولا يرقب فى المسلمين إلاً ولا ذمة، يرضيهم بقوله ويبغضهم بفعله.

يعمل لهدم المساجد ليبنى على أنقاضها الكنائس.

يحتقر العربية ليرفع من شأن الإنجليزية.

يلغى الشريعة فى المحاكم ليحل محلها القوانين.

هكذا فعل حتى علت دقات النواقيس فى الكنائس على أصوات المآذن فى المساجد، جدت حتى ظهرت معالم النصرانية على مظاهر الإسلام فى كل بلد وفى أقرب وقت، ثم لم يجد ما يقول غير دعواه أن الإسلام كان ينتشر بالقوة والسيف على حد المثل القائل: «رمتنى بدائها وانسلت».

• إن للبيت ربا يحميه :

«إن للبيت ربا يحميه» كلمة عبد المطلب جد النبى محمدﷺ يوم أقبل أبرهة بجيش عرمرم ممتطين صهوة الفيل يريدون هدم الكعبة، وإذ لا قبل لأهل مكة به فاجتمع زعماء قريش إلى عبد المطلب يستشيرونه فأجاب: «إن للبيت ربا يحميه»، واستقبل أبرهة ليفاوضه فى غنمه التى استاقها جيش أبرهة، أما هدم البيت فقال لأبرهة: «إن للبيت ربا يحميه».

ومن ثم صار الناس يرسلون القول مثلا للإسلام كلما تصدى له ظالم متكبر جبار لا يطاق، وهكذا نقول اليوم نحن مسلمى هذه البلاد.

حين تصدى للإسلام أعداء متكاثرة ومتضافرة من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين والملاحدة والمنافقين و..و..

ولهم إمكانات ضخمة وأسلحة متوفرة وأدوات متعددة، وهم من كل حدب ينسلون، وقد تواعدوا على شفاء ما فى صدورهم من غل للمسلمين كلما سنحت لهم فرصة التشفى، لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة.

المنافقون يرضون المسلمين بأفواهم وتأبى قلوبهم، والآخرون قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر، وكأنما تواصوا بذلك كابرا عن كابر.

والإسلام سلم أعزل يتودد إلى كل عدو له، والعدو عنيد مريد، ولولا أن للإسلام ربا يحميه لما بقى له عين ولا أثر فى كل مكان حتى اليوم.

ولكن كلما ظن العدو أنه قضى عليه عاد جذعا قويا لا يغلبه غالب، وكلما ظهر له جزر فى ناحية أحدث مدا فى ناحية أخرى كالبحر المحيط حيث تحدث له جاذبية القمر للأرض مدا وجزرا.

كان الاستعمار والتبشير الصليبى متعاونين على هدم الإسلام فى هذه البلاد وبناء النصرانية على أنقاضه منذ قرن ونصف منذ استيلاء الإفرنج على هذه البلاد إلى أن تحررت من نير الاستعمار الذى أرغم على الانسحاب فذهب ولكنه خلف وراءه التبشير وهو أشد على الإسلام عتيا.

ذهب الاستعمار بعد أن مكّن التبشير من الاقتعاد على غارب المسلم ورأسه وصدره وقبض على يديه وقيد رجليه وأصبح كابوسا عظيما.

والمبشر ابن البلد يتكلم بلغته يعلم خبايا الأمور ويدرك مواطن الضعف، وأعجب من هذا وذاك أن المسلمين فى تدابر بينهم وتقاطع وتخاصم وتقاتل يكفر بعضهم بعضا بالظنون لا بالنصوص.. ولكن للإسلام ربا يحميه.

* * *

• حقيقة خفيت على التبشير :

هناك حقيقة لو كانت جلية على التبشير لكف عن عدوانه على الإسلام وتصالح مع الإسلام للتعاون على الإلحاد والهرطقة والزندقة التى لا تقوى النصرانية على مجابهة تياراتها فى أوروبا وأمريكا وغيرهما من البلدان.

أما الحقيقة المذكورة فهى أن الكنيسة أعلنت حربا على ثلاثة أمور ولم تنتصر عليها إلا بالهدنة والتصالح وهى: الإسلام، والعلم، والدولة.

أولاً: تألبت الكنيسة والدولة على حرب الإسلام وتعاون «ريتشارد قلب الأسد» الإمبراطور مع رجال الكنيسة وأعلنوا الحروب الصليبية على الإسلام من إسبانيا إلى الشرق الأوسط دامت قرونا طويلة وعادت الاثنتان من هذه الحروب بخفى حنين.

ثانياً: ثم تعاونت الدولة والكنيسة على معاداة الفلسفة والعلم والاختراع ومكنت الدولة رجال الكنيسة أن يقيموا محاكم التفتيش للبحث عن عقائد الناس فيما حول ألوهية المسيح والتثليث وقدسية التوراة والإنجيل، والشك فى إنزالهما من الله فكان ما كان فى ذلك من القتل والحرق والطرد للملايين فلم تنتصر الكنيسة والدولة فى هذه الحرب، بل عادت الاثنتان بخفى حنين، لقد انتصرت الفلسفة والعلم.

ثالثاً: من جراء ذلك كله وقعت الحرب بين الدولة والكنيسة فقامت معركة العلمانية والدولة ضد الكنيسة فتم أخيراً فصل الدين عن الدولة.

اشتدت هذه المعركة على إثر قيام البرتستانتية ضد الكاثوليكية بقيادة مارتن لوثر فى القرن الثامن عشر الميلادى.

وقد نجح رجال الدولة فى هدفهم من إبعاد الدين عن الدولة فعادت الكنيسة بخفى حنين - فأين الحرب التى أعلنتها الكنيسة ثم انتصرت فيها ؟

أفلا يتصالح التبشير مع الإسلام الذى يدعوه دائما إلى التسامح بحكم وحدة الأديان السماوية : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمـــــران : ٦٤]

وكيف يصعب على التبشير أن ينقاد للتسامح والتصالح مع الإسلام، وقد تسامح وتصالح مع الدولة على رغم أنفه، كما تسامح وتصالح مع العلم على رغم أنفه.

* * *

• النصرانية والتعليم الإنجليزى فى شمال نيجيريا :

قام التبشير بعدة محاولات بالوسائل الجائزة والمستحيلة لكى يجد مدخلا لنفسه فى عواصم برنو وكانو وزاريا وغيرها من بلدان الشمال، ولكن رسوخ قدم الإسلام بها وشدة محافظة أهلها على العقيدة الإسلامية وقفت حجر عثرة أمام التبشير ردحا من الزمان.

مما حمل أول حاكم إنجليزى فى الشمال وهو سير «آى.بى. تى. غراود» ١٩٠٧ أن يعترف فى تقريره السنوى الذى بعث به إلى مكتب المستعمرات قائلا «من المستحسن أن نعلم المحمديين - المسلمين - الثقافة على طريقتهم الخاصة ولا نرغمهم على الحضور إلى مدارس التبشير».

وكان من جراء ذلك إنشاء كلية المعلمين فى كاشنة التى فتحت على يد الحاكم كلفورد ١٩٢٢م لتربية الذين يقومون بدورهم لنشر التعليم فى أرجاء الشمال.

لم يستطع التبشير أن يبنى الكنائس فى العواصم فلجأ إلى القرى حيث يوجد القبائل الوثنيون المسمون «ماغذاوى» الذين تركهم المسلمون أحرارا فى اختيار دينهم على أساس قوله تعالى :

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

استطاع التبشير أن ينصر منهم عددا كبيرا وساقهم إلى أوروبا لإكمال التعليم فرجعوا إلى بلادهم أسيادا معتبرين ليكونوا أسوة لغيرهم.

ومن الغريب أن يلجأ التبشير إلى التسمى بأسماء الأنبياء وأسماء الصحابة على نحو ما يتسمى به المسلمون تغطية لهم حتى لا يشعر المسلمون بتنصيرهم وحتى يعيشوا فى وئام وتفاهم معهم فتجد مسيحيا يتسمى يعقوب دون جاكوب ويحيى دون يوحنا وإبراهيم دون إبراهم، كما تجد منهم من يتسمى أبا بكر وعمر وعثمان.

وجد التبشير نصيبه من أبناء القرى والأرياف ولم يجد من أبناء العواصم الذين تلقوا تعليمهم من كلية كاشنه ورجع كل واحد منهم إلى ناحيته لنشر التعليم الإنجليزى هناك فكان الرعيل الأول منهم أبو بكر تفاوى بليوى وأحمد بللو وعلى مقامن بدا وأمثالهم.

* * *

• **يؤتى الحذر من مأمنه :**

ومن يدرى أن الإسلام يجد لنفسه معقلا حصينا داخل معسكر التبشير «فى لاغوس» أو يجد سلاحا من الأسلحة التى أعدها التبشير لمحاربة الإسلام ذلك لأن اتصال المسلمين بالثقافة الإنجليزية مكنهم من الاطلاع على المنشورات الإسلامية المكتوبة باللغة الإنجليزية، ولقد قام بنشرها المسلمون فى الهند والباكستان أمثال منشورات حسن خان والأمير على والشاعر إقبال وأمثالهم.

فوقفوا بذلك على دسائس التبشير التى لولا اتصالهم بتلك النشرات لوقفوا أمامها حيارى مبهوتين.

كان ذلك فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وعلى إثر تكوين نيجيريا دولياً وسياسيا، فاستطاع المسلمون أن يقيموا سوق المناظرات بينهم وبين النصارى بالأسلوب الغربى فانقلبت مدينة لاغوس بالتدريج مركزاً هاما من مراكز نشر الإسلام فى غرب أفريقيا. حيث صارت ملتقى الديانتين ومعترك العقيدتين الإسلام والنصرانية إلى أن قامت الحرب العالمية الثانية.

ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى صارت المستعمرات تطلب استقلالها فتحررت نيجيريا مع البلاد المتحررة.

فانفتحت الطريق للدول الإسلامية والعربية أن تفتح سفارتها فى لاغوس العاصمة منذ ١٩٦١م فتقدمت المعاهد والجامعات الإسلامية بمنح دراسية لأبناء البلاد فقويت الصلات وتوثقت الروابط وتقدمت المعارف.

فتغلبت الدعوة الإسلامية على الدعاية التبشيرية فى عقر منطلقها، فكان أمر الله قدراً مقدوراً وصح وعد الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]

* * *

• الجمعيات الإسلامية فى نيجيريا وأثرها فى الدعوة:

ليس فى القاموس العربى القديم كلمة «جمعية» وإنما هى حديثة لفظاً ومعنى، لذلك لم يعرف الإسلام نظام الجمعيات وإنما عرف الجماعة أو الأمة حسب نصوص القرآن والحديث، وعرف الفرقة والطائفة للمنحرفين حسب اصطلاحات العلماء اللغويين لذلك لم يعرف مسلمو نيجيريا ولا مسلمو العالم منظمة قبل احتكاكهم بالجمعيات التبشيرية الإرسالية كما كان الأمر فى مصر وغيرها من بلدان الإسلام فى العالم.

بل المعروف فى نيجيريا هو نظام تكتل الأقران المتقاربين من الولادة فيشتركون فى اللعب ثم فى الدفاع عن واحد منهم، ثم فى الاستعانة على جلب المصالح ودرء المفاسد ولا يزالون كذلك من عهد طفولتهم إلى الشبيبة إلى الكهولة إلى أن يغتالهم الموت واحدا

بعد واحد حتى ينقرضوا، ويمتاز كل قرن بالزى الموحد فى الأعياد، وأقرب مثال لذلك جمعية «الصلاة على النبى» أو«صل على محمد» التى قامت فى آخر القرن التاسع عشر ثم انفصلت عنها جمعية «قيلة» مع بداية القرن العشرين، ولقد تكونت الجمعيتان من علية القوم، وكانت لهم شهرة فائقة ونفوذ قاطع على المجتمع حتى انضم إليهما بعض المسيحيين.. ولا عيب فى جمعية الصلاة على النبى«يارب صل على محمد» وجمعية «قيلة» غير أنهما ليس لهما أى هدف غير التفاخر والتظاهر بالزينة يوم عيد لتحويل أنظار الوثنيين والمسيحيين إليهم فى تلك الأعياد، ولقد دخل فى الإسلام عدد غير قليل بواسطة هاتين الجمعيتين.

وأول جمعية قامت على هدف نبيل هى جمعية أنصار الدين حوالى ١٩٠٠م، وكان أعضاؤها من كبار جمعية «قيلة» وهى قامت اقتداء بالجمعيات التبشيرية، وكان غرضها بناء مدرسة لأبناء المسلمين، وخصصت هذه الجمعية أرضا لها وكان على رأسها على بلوغن ولما حال دون ذلك ظروف أخرى قام أبناء أعضاء هذه الجمعية وتسموا شبان أنصار الدين ١٩٢٣م.

واستأذنوا آباءهم لبناء تلك المدرسة فأذنوا لهم فبنوها عام ١٩٢٧م كما أنشأوا فى كل بلد فروعا للجمعية تبنى المدارس هناك، فنشروا المدارس فى كل بلد من بلاد الجنوب والشمال وفى هذه الآونة وصل من إنجلترا إلى نيجيريا مبشر الطائفة الأحمدية(*)

(*) الطائفة الأحمدية منسوبة إلى ميرزا غلام أحمد القادياني، كانت تعتبر فرقة من الفرق الإسلامية، وكانت تنال رعاية الحكومة الإنجليزية، لذلك تروج دعايتها فى مستعمرات الإنجليز. =

وهو مولوي عبد الرحيم نيَّار فكان أمرا عظيماً حينذاك حيث ينزل مسلم ضيفاً على الحكومة الإنجليزية بالشرف والكرامة فأضفى الجاه إلى جماعة الأحمدية، فأنشأت مدارس إنجليزية لأبناء المسلمين إلى جانب مدارس أنصار الدين، ثم ظهرت جمعيات في عاصمة كل قبيلة على الأساس القبلي، فجاءت أنوار الدين لقبيلة أبيكوتا إلى جانب أنصار الدين، ثم ظهرت جمعية أنصار الإسلام لأهل مدينة الورن، وأخيرا قامت جماعة نصر الإسلام في بلاد هوسا كما سيأتي.

ثم تألفت من جملة هذه المدارس جمعية طلبة المسلمين التي تفرعت إلى إنجلترا وأمريكا وغيرها من البلدان.

غير أن تعدد الجمعيات وكثرتها حتى كادت تكون على عدد البلاد والقبائل صار يؤدي إلى سلبيات وتعويقات لكثير من المصالح والمطالب.

ولم تنجح المحاولات التي قام بها المصلحون لتوحيد هذه الجمعيات وتنسيقها تحت لواء واحد.

* * *

= ولما انجلى أمرها بأن ادعى ميرزا غلام أحمد النبوة انشقت الجماعة على نفسها: قسم تسمى بإرساليات أحمدية، وهي تعتقد بنبوة الرجل، وقسم تسمى بالحركة الأحمدية النيجيرية، وهي تعتقد بمهدويته، ويقود هذا القسم الحاج جبريل مارتن ثاني الاثنين اللذين هما أول محام مسلم في نيجيريا حوالي عام ١٩٢٤م.

ولما أعلنت حكومة باكستان التي منها جاءت الأحمدية: أن الأحمدية أقلية غير مسلمة تراجع عنها قسم جبريل مارتن، وغيروا اسمهم إلى أنوار الإسلام منذ عام ١٩٧١م.

• الدين والدولة فى نيجيريا :

رغم أن شعار فصل الدين عن الدولة هو ما يتغنى به النصارى فى نيجيريا وفى كل مكان، ورغم أن أغلبية سكان نيجيريا مسلمون فإن حكومة نيجيريا لا تزال تحافظ على شعار الصليب فى كل شيء، ولا يزال دستور نيجيريا الحاضر ينص على عدم انتساب الحكومة إلى دين، وأن الدولة لا دين لها.

وأن الدستور كفيل بحرية الدين لكل مواطن يختار ما يشاء من الأديان، سواء أكان إسلاما أو نصرانية أو وثنية.

لذلك لا توجد وزارة الشئون الإسلامية ولا وزارة الأوقاف للمسلمين لأن الاستعمار قد مكن التبشير من إخضاع الحكومة لشعائر النصرانية فى عدة مظاهر :

منها أن الأجازة الأسبوعية تكون يوم الأحد ليتسنى للنصارى أن يحضروا الكنائس وهم الأقلية.

أما المسلمون فلا يسمح لهم إلا بساعة واحدة لحضور الصلاة يوم الجمعة!.

ومنها أن رئيس القضاة لابد له أن يتوجه إلى الكنيسة الكبرى ليستمد العون من الأسقف قبل افتتاح المحكمة الكبرى!!

وعلى الأسقف الأكبر أن يحضر حفلة افتتاح المحكمة ليبارك القضاء، كل ذلك لإثبات الولاء بين الكنيسة والمحكمة.

دام الحال كذلك منذ احتلال الإنجليز البلاد إلى أن كثر المسلمون أخيراً بين القضاة وتولى عليهم مسلم وهو «عبد الفتاح وليمس» فامتنع المسلمون من جانبهم متابعة هذا التقليد.

هكـذا تجـد النصـارى يظلمـون ثـم يتظلمـون، يلـدغون ثـم يصـيئون، يضـربون غيرهـم ثـم يبكـون وكلمـا أحـس القساوسـة برجحان كفة المسلمين فى الميزان أرسلوا صيحاتهم فى العالم أن النصرانية فى خطر داهم، واستغاثوا بكل نصرانى لإنقاذها، وإذا رجحت كفة النصرانية أقاموا صلوات الشكر فى الكنائس والمنازل.

يتدخل القساوسة فى كل ما يشاءون من أمر الحكومة.

أما الأئمة المسلمون فكل من يجترئ منهم على إبداء رأى فى السياسة ثاروا عليه وساموه بأنواع الخسف والهوان لأنه خرق العادة بتدخله فى أمر السياسة وهو رجل دين.

* * *

• الدين والسياسة :

من فكرة فصل الدين عن الدولة نشأت فكرة فصل السياسة عـن الـدين وارتسـخ فـى أذهـان غالبيـة المتعلمين مـن المسـيحيين والمسلمين أن الدين طاهر وأن السياسة دنس.

فعلى هذا يجب إبعاد الدين عن السياسة فلا يجوز أن تكون الأحزاب السياسية على أساس القبلية والعقيدة والطبقة والصناعة بل يجب أن تكون السياسة أمراً مشتركاً بين المواطنين من أصحاب الأديان المختلفة.

أخذ المسلمون المغلوبون على أمرهم هذا المذهب جزافا من غير كيل ولا وزن ولا غربلة، فلم يستطيعوا أن يشكلوا أحزاباً إسلامية بل توزعوا فى مختلف الأحزاب مع النصارى والوثنيين.

وقد تألفت الأحزاب السياسية الأولى فى نيجيريا عام ١٩٢٣م وفى عام ١٩٣٠م، وكان أغلب أعضائها من النصارى وقليل من المسلمين.

أما الأحزاب الكبرى فإنما قامت على عتبة الاستقلال عند تأليف المجلس التشريعى عام ١٩٥٠م، ولم يوجد حزب كل أعضائه نصارى أو مسلمون، فالأحزاب فى الولايات الشمالية يرأسها مسلمون وينضم إليهم النصارى كحزب أحمد بللو أكثرهم مسلمون وفيهم مسيحيون، والأحزاب فى الولايات الجنوبية يرأسها النصارى وينضم إليهم المسلمون كحزب الدكتور لزيكوى وشيف أوبافيمى وأولو نصفهم مسلمون ونصفهم نصارى وهناك أحزاب صغيرة توالى هذه الكبار.

* * *

• أول مؤتمر إسلامى عام فى نيجيريا :

فى عام ١٩٤٨م دعا السيد محمد الأمين كودايسى الذى كان أميناً عاماً للمتمهدى جمعة بن الحسن الجبودى دعا إلى مؤتمر إسلامى عام فى مدينة أويو تحت إشراف ملك بلاد يوربا الحاج محمد الأول أدينون، اشترك فى هذا المؤتمر جميع المعنيين بشئون الإسلام آنذاك فى بلاد يوربا، ومعهم أئمة وعلماء بلاد يوربا.

وأصدروا قرارات هامة من شأنها رفع شئون المسلمين الدينية والاجتماعية فاختاروا هذا الملك رئيسا شرفيا للمسلمين فى الجنوب فقبل الأمر شاكرا فصار يرعاهم فتذمر منه النصارى ولكنهم كتموا غيظهم إلى حين.

وفى تلك الأثناء قامت الحركات السياسية فتألفت الأحزاب فحاول المؤتمر الإسلامى هذا أن يحول المنظمة إلى حزب سياسى ١٩٥٦م، فتعرض أعضاء هذا المؤتمر للاضطهاد العظيم كان من آثاره خلع ملك يوربا المذكور عن عرشه بالتهم الكاذبة الملفقة، أما بقية الأعضاء فتفرقوا أيدى سبأ «شذر مذر».

وبالقرب من هذا التاريخ وقعت محنة الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية فى مصر وصدر قرار حكومى بالحل الأول للجماعة فى عهد الملك فاروق، ثم بالحل الثانى فى عهد الثورة بتهمة تدخلها فى السياسة، وكان من شأنها أن تلتزم حدود المشاريع الثقافية والاجتماعية كالشبان المسلمين وأمثالها، فسمع العالم كله بهذه الواقعة فوجد زعماء نيجيريا من ذلك مبرراً لفعلتهم.

وبالتالى لما حلت الحكومة جماعة الإخوان فى مصر أنشأت المؤتمر الإسلامى ليحل محل جماعة الإخوان، ويتلقى الأوامر من الحكومة ردد العالم الأفريقى صدى الحكومة المصرية فى ضرورة فصل الدين عن السياسة وحل المنظمة الدينية التى يتهمونها أنها متطرفة وأنشأوا منظمات موالية للحكومة كما فعلت مصر فكانت نيجيريا ممن حذا حذو مصر فى ذلك كله، إذ عمل رئيس دولة الإقليم الغربى فى نيجيريا على تشتيت شمل المؤتمر الإسلامى الذى يسعى للمطالبة بحق المسلمين فى الميدان السياسى، وأنشأ من داخل حزبه «جماعة العمل» مجلسا إسلاميا متحدا ليعتنى بشئون المسلمين ولم يكن لهذا المجلس أى اهتمام إلا بشئون الحج وشئون معلمى الدين فى المدارس الحكومية.

ومن البلاء العظيم أن يزدهى خديعة هذه السياسة أحد كبار علماء يوربا الشيخ أحمد زاكى نزيل لاغوس فقبل رئاسة هذا المجلس وتلقب بسركى مسلمى أى زعيم المسلمين ولا طائل تحت العمل والاسم واللقب إلى أن توفى عام ١٩٦٨م. عفا الله عنه وغفر لنا وله.

ومهما ننس فلا ننس المجلس الإسلامى العام الذى أنشأه المحامى محمد الأول أغسطس أول محام مسلم منذ ١٩٢٥م، ثم ترأس عليه الحاج عبد الواحد إلياس، وقد عمل هذا المجلس على ربط الجنوب بالشمال أيام أحمد بللو وبعده.

أما من ناحية الحزب الشمالى الذى يرأسه السيد أحمد بللو فقد أنشأ بدوره منظمتين اثنتين إحداهما المجلس الاستشارى للشئون الإسلامية ويتكون هذا المجلس من نخبة علماء الشمال شبابا وشيبا وقد بلغ عددهم نحوا من ستين عالماً، وكان هذا المجلس تابعا للبرلمان ومجلس الأمراء، وكان يرأس المجلس الوزير جنيد من سوكوتو ويديره الشيخ أبو بكر غومى من سوكوتو.

وثانيتهما جماعة نصر الإسلام التى كانت تعتبر أعظم منظمة إسلامية فى نيجيريا كما سيأتى.

* * *

• إنشاء جماعة نصر الإسلام :

أول جماعة إسلامية فى بلاد هوسا هى جماعة السنة التى أنشأها الشيخ عثمان بن فودى من تلاميذه فى التعليم والإرشاد

ومن مريديه فى الطريقة الصوفية ١٨٠٢م، ثم قامت الطرق الصوفية من قادرية وتيجانية مقام هذه الجماعة يعمل كل منها بحسب إرشاد مشائخ الطريقة ومقدميها طوال أيام الاستعمار حتى أوائل أيام الاستقلال.

وأول جمعية دينية فى شمال نيجيريا كلها هى جماعة نصر الإسلام اصطلحوا على تسميتها جماعة امتدادا لجماعة ابن فودى السالفة الذكر وتمييزا لها من الأحزاب السياسية والثقافية التى أنشأوها قبيل الاستقلال.

وفى عام ١٩٦٤م عمل أحمد بللو على إنشاء جماعة نصر الإسلام لربط هذه الجماعة بنظام جده الأعلى السالف الذكر فتأثر لذلك باتصاله برابطة العالم الإسلامى وبرجالات الدعوة الإسلامية فى العالم العربى وتأسياً بالحكومات التى تنشئ منظمة دينية موالية لها، وقد تكون أعضاؤها من الأمراء والوزراء والنواب والقضاة الشرعيين والعلماء، وكان هدفها الاهتمام بشئون الإسلام التى لا يمكن النظر فيها تحت إطار الحزب الحاكم الذى يتألف من مسلمين، وغير مسلمين أو لا يمكن النظر فيها فى البرلمان بحكم نص الدستور بعلمانية الدولة.

ولهذا كانت جماعة نصر الإسلام من أول يوم منظمة شبه حكومية رسمية ولم تتبلور أهدافها تماما قبل اغتيال أحمد بللو ولم يتم افتتاح مركزها إلا بعد وفاته بأشهر.

وكان الإقليم الشمالى كتلة واحدة تضم البلاد تحت لواء ابن فودى قبل الإنجليز وأيامهم، وإنما تم تقسيم الإقليم إلى ولايات بعد

موت أحمد بللو، فانحل مجلس الإقليم ومجلس الشيوخ والأمراء فصارت كل ولاية مستقلة عن الأخرى، ولم يجد الأمراء بدا من تحويل جماعة نصر الإسلام إلى رمز وحدتهم ومركز لقائهم..فانقلبت الجماعة سياسية أكثر من كونها دينية لأن الأمراء هم الذين يتولون تنظيم شئونها ولا يصدر الأعضاء إلا عن رأيهم وقلما تنجح جمعية يديرها الأمراء والحكام والرؤساء لأن أكثرهم مثبطون غير منشطين، لهذا لم تظفر الجماعة بمنجزات ملموسة كما ظفرت جمعيات أخرى صغيرة فى الجنوب مثل أنصار الدين مثلا. وزاد الناس نفورا عن الجماعة أن كان ولا يزال يتولى إدارتها أناس يحملون حملات شعواء على رجال الطرق الصوفية تحت شعار «إزالة البدعة» ونفوذ الصوفية فى المجتمع لا ينكر ولا يجهل.

ومن ناحية أخرى كان يتولى رئاسة الجماعة وأمانتها وإدارتها أهل «سوكوتو» وحدهم لأنهم يحافظون على احتكار كل شيء لبيوت معينة إلا ما كان من ذر الرماد فى العيون أو تكميم أفواه الناقدين، فيختارون من ينوب عنهم فى الدرجة الثانية لهم وهم دائما فى الدرجة الأولى.

وحيث انحصرت الجماعة فى الولايات الشمالية وقد سبقتها جمعيات فى الجنوب لم تنجح جميع المحاولات فى إنشاء فروع لها فى الجنوب إذ أبت الجمعيات أن تنصهر فى بوتقة جماعة نصر الإسلام.

لهذا انبثق منها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ينتظم فيها جميع الجمعيات فى جميع البلاد فابتلعتها جماعة نصر الإسلام

فصار كل الصيد فى جوف الفرا، فلم يعمل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية شيئا أكثر مما كانت تعمل جماعة نصر الإسلام.

* * *

• ترجمة أحمد بللو :

هو أحمد بللو بن الأمير إبراهيم بن أبى بكر بن الأمير محمد بللو بن الشيخ عثمان فودى ولد ١٩٠٩م دخل مكتب القرآن وتعلم فيه.

توفى والده وهو فى السادسة من عمره حين كان يتعلم القرآن ثم دخل المدرسة الإنجليزية الابتدائية، وتخرج منها ثم التحق بكلية المعلمين بكاشنه ١٩٢٦م للتدريب على التعليم وكان أساتذتهم من الإنجليز ولما تخرج عاد إلى بلاده معلما.

وفى ١٩٣٤م تعين رئيس مركز رابا حتى ١٩٣٨م حيث مات السلطان حسن عمه وتولى ابن عمه أبو بكر وتعين أحمد بللو على منصب سردونا وعلى مديرية مقاطعة غوسو قرب سوكوتو.

وفى عام ١٩٤٨م سافر إلى لندن لدراسة نظم الحكم المحلى.

وفى عام ١٩٤٩م تعين عضوا فى المجلس التشريعى لدستور نيجيريا.

وفى عام ١٩٥٣م تقلد وزارة الحكومة المحلية للحصول على الحكم الذاتى.

وفى عام ١٩٥٤م أصبح رئيساً لوزراء الإقليم الشمالى حتى تم استقلال نيجيريا عام ١٩٦٠م.

وعند تأسيس رابطة العالم الإسلامى عام ١٩٦٢م تعين نائبا لرئيس الرابطة وحضر مؤتمر الرابطة ١٩٦٥م وألقى خطابا عالميا مهما.

اغتيل فى رمضان عام ١٣٨٥هـ يناير ١٩٦٦م.

* * *

• منهجه فى الدين والسياسة :

له همة عالية بإعادة مجد آبائه وأجداده فى الإسلام وكان له رغبة ملحة فى إقامة الجامعة الإسلامية شبه الدول الكومنويلث البريطانى، وقد طاف العالم العربى حاملا الدعوى إلى تحقيق ذلك.

وكان يحج كل عام للاتصال برؤساء العرب المسلمين وله صداقة خاصة بالملك فيصل إلى أن أنشئت الرابطة وتعين عليها رئيسا بالنيابة.

اشترك فى المؤتمر الإسلامى العام بمكة المكرمة ١٣٨٣هـ (١٩٦٥م) وألقى خطابا تاريخيا هاما فى المؤتمر أدلى فيه بتصريحات كثيرة عن منجزاته الدينية ومشروعاته المرموقة سدد إليه سهم الأعداء الثلاثة الصليبية والصهيونية والاستعمار فأقعده السهم قبل أن يحول الحول على تصريحاته فى مؤتمر مكة.

وقد نذر نفسه لنشر الدعوة فى غرب أفريقيا إحياء لآثار جده الأعلى عثمان بن فودى، وكان يرى ضرورة جعل نيجيريا دولة إسلامية بنص الدستور حتى ولو كان يؤدى ذلك إلى انفصال شمال نيجيريا من الكتلة الفيدرالية.

وهذا مما أغاظ النصارى والملاحدة والصهاينة والدول الغربية عامة، وقد شاهدوا ملامح النجاح وتباشير الانتصار للرجل وأيقنوا أنه لو عاش طويلا لما وقف أمامه شيء يمنعه من تحقيق أهدافه.

لذلك تحينوا غفلته واغتالوه هو وأنصاره من المدنيين والعسكريين، وكان زعماء الأحزاب السياسية يتغنون بكلمة فصل الدين عن السياسة والدولة يطبلون لها ويزمرون، لعلمهم أن المسلمين يشكلون الأغلبية الساحقة فإذا جمعت نيجيريا بين الدين والدولة فإن النصارى سينصهرون في بوتقة الإسلام تماماً ثم لا يكون لهم كيان في أفريقيا كلها، لهذا فإن فصل الدين عن الدولة في صالحهم.

* * *

• **من آثار الصداقة بين أحمد بللو والملك فيصل رحمه الله:**

لما استعادت السعودية نشاط مركز الحرمين الشريفين في تحمل مسئولية الدعوة، وأنشأت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودار الإفتاء بالرياض لتكون مراكز الإشعاع إلى العالم الإسلامي بأسره.

كان من حسن حظ نيجيريا أن يتعين السيد أحمد بللو نائباً لرئيس الرابطة، فقبل هذا الشرف شاكرا وتعهد بالتجاوب والتعاون مع الرابطة على نشر الإسلام.

وإن لم يكن قد ساهم بالإنفاق في مسيرة أعمال الرابطة فقد تعاهد ببذل نفسه حسبما جاء في رسالته:

إلى سيادة الأخ الأمين العام...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

لقد كان للدعوة السامية التى أكرمنى بها حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم للإسهام فى هذا المؤتمر الإسلامى التاريخى أعمق الأثر فى نفسى وإنه لشرف عظيم أن يرانى جلالته أهلا لهذا الأمر الجليل أو هو بالأحرى لبلادى كلها.

ولست أملك إلا أن أؤكد لكم تأييدى الكامل الذى لا حد له وعهدى على التعاون الوثيق فى سبيل نشر رسالة الإسلام العظيم.

ولن أكون فى ذلك إلا مؤدياً أمانة الله فى عنق كل مسلم وماضيا على أثر آبائى وأجدادى أعتز بأن تاريخهم فى بلادى اقترن دائما بتاريخ الدعوة الإسلامية.

صدرت الرسالة بتاريخ ١٢ ذى الحجة ١٣٧١هـ (١٦ مايو ١٩٦٢م).

لقد عاجلت المنية السيد أحمد بللو ووقع شهيدا فى أول الطريق، ولكن السعودية ظلت على وفائها له بعد مماته كما كانت فى حياته حيث تعاونت مع أنصار أحمد بللو وعلى رأسهم الشيخ أبو بكر قومى الذى كان رئيساً للمحكمة الشرعية العليا بشمال نيجيريا.

أرسلت الرابطة بمساعدات مالية كما تبرع الملك فيصل والملك خالد من بعده بأموال لبناء المساجد والمدارس، وأخيرا تبرع بمبلغ

كبير يبلغ ثلاثين مليونا لمشروع الجامع الكبير فى العاصمة الجديدة ((أبوجا)).. ومن هو الشيخ أبو بكر محمود غومى؟!

* * *

• ترجمة الشيخ أبو بكر غومى :

هو أبو بكر بن محمود ولد عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٢م) تلقى التعليم الابتدائى من الده الذى كان قاضيا، ثم التحق بالمدرسة الوسطى حيث أخذ مبادئ الإنجليزية والعربية، ثم التحق بمدرسة الشريعة بكانو، وكان من الطليعة الأولى التى أنجبتها المدرسة ومن الذين أكملوا تعليمهم فى معهد التربية بمدينة ((بخت الرضا)) بالسودان العربى الشرقى.

باشر التعليم برهة ثم انتقل إلى ميدان القضاء وشغل منصب نائب قاضى قضاة الشرعيين، ثم قاضى قضاة الشماليين بلقب القاضى الكبير.

مكث فى هذا المنصب منذ عهد الاستقلال إلى عهد جنرال مرتضى محمد حيث أحيل إلى المعاش وصار متفرغا لعمل الدعوة تحت إطار جماعة نصر الإسلام كان مستشارا دينيا للسيد أحمد بللو فى حياته وكان محترما عند جميع علماء بلاد هوسا أيام أحمد.

خصوصا عند إنشاء مجلس الشورى للشئون الدينية الذى كان وزير جنيد أكبر علماء سوكوللو رئيسا له، وكان حسين آدم الكنوى سكرتيرا كان الشيخ غومى مديراً عاماً للمجلس.

كان الجو كله بينه وبين العلماء هادئا وسلاماً إلى أن أخرج كتابه المسمى العقيدة الصحيحة لموافقة الشريعة، هجم فيه على مشائخ الطريقة القادرية والتجانية، المعاصرين له فى نيجيريا وانتقد ما فى كتاب الفيوضات الربانية من كتب القادرية وما فى جواهر المعانى من كتب التجانية واعترض على الشطحات الصوفية وكفرهم بها فقام أولئك برد الفعل العنيف.

والغريب أن السيد أحمد بللو كان قد نشر شطحات الشيخ عثمان فى كتابه: «لما بلغت ستا وثلاثين سنة» ولم ينكر عليه الشيخ أبو بكر بل كان من أنصاره عند النشر والتوزيع وفى الكتاب شطحات كثيرة.

وقد هجم الشيخ أبو بكر على المفسرين تحت عنوان: «تهافت بعض المفسرين» بتهمة حمل الإسرائيليات وكتب للقرآن تفسيرين اثنين:

أحدهما: فى لغة هوسا، **وثانيهما:** فى اللغة العربية تحت عنوان: «رد الأذهان إلى معانى القرآن» وقد أخذ الناس عليه فيهما مآخذ وأخطاء، فسبحان من لا عيب فيه ولا خطأ وفوق كل ذى علم عليم.

* * *

• الفرق بين منهج السيد أحمد بللو ومنهج الشيخ أبو بكر غومى:

علم السيد أحمد بللو بضرورة التعاون مع سائر أعضاء المجتمع الإسلامى للعمل الإيجابى للدعوة.

فعمل أولا على جمع شتات المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم وطرائقهم، جمع العلماء فى اللجنة الاستشارية وجمع سائر طبقات الناس فى جماعة نصر الإسلام، جمع بين أصحاب الطرق ومن لا طريق له من غير شدة ولا عنف ولا قساوة ولا ضراوة، لا ضراب ولا حراب.

كانوا يهدفون جميعاً إلى العمل الإيجابى البناء للوقوف أمام تحديات الصليبية والصهيونية والوثنية، وكان الوثنيون يبلغون الملايين فى الإقليم الشمالى وحده، وهناك أقوام بدائيون يسكنون أعالى الجبال بمقاطعات بوشى، وجد فيهم المبشرون مجالا خصيبا للتبشير والتنصير منذ أيام الاستعمار.

وإلى أمثال هؤلاء صرف أحمد بللو عنايته بعد الاستقلال حتى أسلم منهم عدد كبير فى مدة وجيزة صرح بذلك فى خطابه الذى ألقاه فى المؤتمر العام بمكة المكرمة بما نصه المترجم من الإنجليزية: «أن عدد الذين أسلموا من هؤلاء الوثنيين فى الفترة من ديسمبر ١٩٦٣م حتى مارس ١٩٦٥م قد بلغوا ١١٫٧٦٩ ومن بينهم شخصيات لها أهميتها فى المجتمع مما حرض المبشرين على مضاعفة جهودهم ونشاطهم فى التبشير»[1].

مات أحمد بللو وتولى الشيخ أبو بكر على العمل فاتخذ منهجا سلبيا فى الدعوة حيث ترك دعوة الوثنيين ولا يزالون بينهم فى المقاطعات الشمالية كما لا يزالون فى بلاد إيبو تركهم يعمهون فى ضلالهم وأفسح المجال للمبشرين أن يجلبوهم إلى الصليب فولى

(١) انظر الشهيد أحمد بللو منشورات الرابطة عام ١٩٦٦ ص ٢٠.

وجهته شطر التجانيين والقادريين يهاجمهم فى إذاعة كادونا ويشن عليهم حملات شعواء بإغراء صغار الدعاة ضدهم على حساب المكافآت والمساعدات التى ترسلها الرابطة والمملكة لنشر الإسلام.

فتحولت المعركة من ميدان الوثنيين إلى ميدان الصوفيين فصار البأس بين المسلمين شديدا، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

فانفسح المجال للمبشرين فازداد نفوذهم طوال أيام الحكم العسكرى الأول فذهبت مساعدات الرابطة أدراج الرياح أو ذابت كالأملاح فى البحر المحيط.

أليس من العجب أن لا تستطيع الرابطة فتح مكتب لها فى نيجيريا وقد فتحت المكاتب فى الأقطار المجاورة بغرب أفريقيا، كما فى غابون والنيجر والسنغال وفولتا العليا وأمثالها من البلاد التى نالت أقل مساعدة وعناية بالنسبة لما نالتها نيجيريا.

واستطاعت السنغال أن تفتح مكتب التنسيق للمنظمات الإسلامية الإفريقية مع أنها أهم مراكز التجانية والقادرية فى غرب أفريقيا.

ومن شواهد ذلك أن آثار السعودية أكثر وضوحا فى جنوب نيجيريا، فإن أبناء الجنوب الذين يتوافدون إلى جامعات المملكة أكثر عددا من أبناء الشمال وكانوا فى عودتهم أكثر نشاطا للدعوة فى الجنوب لأنهم قاموا بالعمل الإيجابى على عكس ما قام به أبو بكر غومى وأنصاره من العمل السلبى فى الشمال وطرفاً من الجنوب.

فإن مهمتهم هنا وهناك أن يؤسسوا فرقة إزالة البدعة وأن يبنوا فى كل بلد مسجدا جديداً لهم إلى جانب مسجد قديم للصوفيين أعداءهم الألداء فظلوا يعملون للفرقة والانقسام غير الوحدة والوئام.

حاربوا البدع ولم يحيوا السنة، اهتموا بإزالة البدع ولم يبالوا بزيغ الكفر وزيف الإلحاد. وغى الوثنية وضلالة الصليبية.

ومن المتناقضات التى تلاحظ فى منهج الشيخ أبو بكر حفظه الله ورعاه: أنه لما كان مديراً عاماً للجنة الاستشارية التى ضمت علماء الشمال أيام أحمد بللو حارب سنة القبض فى الصلاة حربا شعواء وأصدر قرارا سنة ١٩٦٥م بتحريم القبض على كل من يصلى للناس إماما فى جميع بلاد الشمال بل يصلى سادلا يديه مع رجحان حجة القابض على السادل فى كتب السنة ولعله حرم القبض لما بينه وبين زعيم التجانيين الشيخ إبراهيم كولح من عداء وخصام وحفيظة وضغينة والله أعلم وإلا فلا داع لتحريم سنة لها نص صريح فى الكتب لأن إبراهيم كولح هو الذى نشر سنة القبض فى نيجيريا بكتابه «رفع الملام عمن صلى وقبض اقتداء بسيد الأنام». فصار يعمل بالقبض أتباعه ومريدوه فى غرب أفريقيا عموماً وكلهم مالكيون.

فكيف يمكن الجمع بين إزالة البدعة وإماتة السنة فى منهج صديقنا غومى.

* * *

• **منهج الشيخ عثمان بن فودى فى الدعوة :**

إن علماء هذه البلاد كانوا ولا يزالون يعتقدون إمامة الشيخ ابن فودى وولايته، وكانوا يتخذونه أسوة صالحة وقدوة حسنة، واتخذوه مجددا كما اتخذ الناس ابن تيمية وابن عبد الوهاب وولى الله الدهلوى وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وحسن البنا رحم الله الجميع.

وكل إمام يؤخذ منه ويرد عليه وشتان بين من يأخذ ويرد على الاجتهاد وبين من يفعل ذلك على التقليد أو الاجتهاد الأبتر.

وكان ابن فودى من أعظم من حارب البدع فى غرب أفريقيا ولكنه جمع بين العمل الإيجابى والسلبى فى ذلك كما هو واضح فى كتابه: «إحياء السنة وإماتة البدعة».

أما أبو بكر غومى فقد اكتفى بالناحية السلبية وهى فقط إزالة البدعة ولم يعمل على إحياء السنة، بل حارب سنة القبض بشدة.

ولقد كان منهج ابن فودى على منهج ابن الحاج فى مدخله والغزالى فى إحيائه وأحمد زروق فى قواعده، وكان منهج أبى بكر غومى غير ذلك فى كتابه: «العقيدة الصحيحة» ولم يكن منهجاً واضح المعالم وهو لم يكن مجتهداً ولا مقلدا إماما معيناً نسأل الله الهداية لنا وله، ولعل التاريخ يعيد قصة كنكتبيرى وقصة عبد السلام وأمثالهما من الذين عصوا أمر ابن فودى بعد أن أكلوا تمره كما عرفت وإن لم تعرف فاسأل بها خبيراً.

* * *

• تكوين المجتمع الإسلامى :

إن المجتمع الإسلامى منذ القرن الأول يتكون من سنى وشيعى وصوفى وسلفى وأهل النص وأصحاب الرأى وكلهم ينتسبون إلى الإسلام ويضمهم الإسلام تحت كنفه سواء أكانوا تحت حكومة إسلامية يرأسها مسلم أو كانوا خاضعين لحكومة يرأسها غير مسلم.

والمجتمع غير الإسلامى يتكون من ملحد ينكر وجود الله ومن وثنى يعبد غير الله وبوذى وهندوكى يعذب نفسه لتطهير الروح ولا يؤمن بالنبوة وأنبياء الله أو مجتمع يتكون من يهودى وصليبى يؤمن ببعض ويكفر ببعض.

أو مجتمع إسلامى يعمل جاهدا لإثبات كيانه ووجوده بين هؤلاء الأعداء الذين يتضافرون ويتكاتفون على المسلمين ويريدون أن يستأصلوه ويقضوا على عينه وأثره.

فهل من العقل أن يكفر بعضنا بعضا ؟!

وهل من الحكمة أن نعرف كيف يطارد بعضنا بعضا عن الحظيرة والعدو يتربص بنا الدوائر ؟!

ألا يجب أن نعمل على تكثير الأصدقاء وتقليل الأعداء ؟!

إن المجتمع الإسلامى مفعم بالفرق والمذاهب التى انبثقت من الاجتهادات، وكان كل مجتهد يستند إلى حجة من كتاب وسنة.

وكل متدين يزعم أنه من أهل سنة ولا يرضى أن ينسب إلى بدعة، وقد اختلفوا فى المذاهب والمفاهيم منذ القرن الأول إلى اليوم، وإذا تمسك أحد بمذهب أو رأى مستند إلى نص بتفسير أو

تأويل يصعب أن يأتى أحد ليستأصل هذا المذهب من قلبه بعنف أو قسوة، والعالم لا ينسلخ من عقيدة أو مذهب إلا بالإقناع والفهم للحكم على حد ما للإمام الشافعى والشيخ عبد القادر الجيلانى من تغيير مذهب إلى مذهب.

قال شاعر :

إن المذاهب كالمناهل فى الهدى

والمرء مثل الوارد الظمآن

والنفس إن رويت بأول منهل

فنيت بلا كره لورد الثانى

إن الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة دعوة لا يختلف فيها اثنان ولكن الاختلاف فى ما هى مفاهيم الكتاب والسنة التى لها معانى كثيرة.

وهناك أمور فرعية اختلفت فيها الآراء، وأمور قطعية لا اختلاف فيها، ولا شك أن البدع قد تسربت إلى كثير من أمور الإسلام من أجل الاختلاف فى مفهوم البدعة هل كل جديد مطلقاً؟ أم كل جديد ليس له سند مستند من نص؟ ونصوص الشرع لها منطوق ومفهوم. فعلى من يريد الإصلاح أن يصلح بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

إن محاربة كل مسلم أو مقاتلته أو مطاردته من الإسلام لا يزيد الإسلام خيراً، كما أن تكفير من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، يخرج أحد الاثنين من الإسلام. بل الأحسن أن يأخذ الدعاة

بنصوص التسامح الذى صحب الإسلام فى أول ظهوره منها قول رسول الله ﷺ مما رواه البخارى: «من استقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله ورسوله، فلا تخفروا الله فى ذمته».

وفى الموطأ باب جامع الصلاة: بينما رسول الله ﷺ جالس بين ظهرانى الناس إذ جاءه رجل فساره فلم يدر ما ساره به، حتى جهر رسول الله ﷺ، فإذا هو يستأذنه فى قتل رجل من المنافقين، فقال رسول الله ﷺ «جهر، أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»؟ فقال الرجل: بلى ولا شهادة له، فقال: «أليس يصلى»؟ قال: بلى، ولا صلاة له، فقال ﷺ «أولئك الذين نهانى الله عنهم».

وروى مسلم أن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية فأدركت رجلا وقال: لا إله إلا الله، فطعنته، قال رسول الله ﷺ: «وقتلته»؟ قال أسامة: إنما قالها خوفا، قال: «هلا شققت قلبه فتعرف أقالها خوفا؟ ماذا تفعل بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة».

* * *